35

روايات عالمية للجيب

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة

العميل

قصة : جون جريشام
ترجمة وإعداد :
د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

المؤلف



كما كان متوقعًا ، أعجب عدد كبير من القراء بالرواية الرائعة التى كتبها (جون جريشام) والتى قدمناها فى الكتيب العشرين : (صانع الأمطار) .

إن أدب (جون جريشام) له مذاق خاص ، يمزج بين السخرية والتوتر والتشويق ، والبعد السياسى ، والعواطف الإنسانية الجامحة . كل هذا فى رواية واحدة محكمة ، لاتشعر معها بافتعال هذا المزج كما تشعر به فى الأفلام الهندية مثلاً !

ولد الأديب الأمريكى (جون جريشام) فى (أركنساس) عام ١٩٥٥ .. درس فى جامعة (المسيسبى)، ثم حصل على شهادة فى القانون عام ١٩٨١، وافتتح مكتبًا للمحاماة فى (ساوثهيفن).

عام ١٩٨٩ قدّم لنا أولى رواياته (وقت للقتل) وكان نجاحها متوسطًا .. ربما لم تحقق نجاحًا ساحقًا إلا بعد ما اشتهر وقدمتها السينما الأمريكية ..

وفى عام ١٩٩٠ قدّم لنا روايته (الشركة) التى وثبت به إلى عالم (أفضل المبيعات)، وصارت رواياته واسمه فى كل مكان .. وقد اشترتها شركة (باراماونت) وقدمتها فى فيلم ناجح بدوره ..

بعد هذا قدّم لنا (جريشام) رواياته (ملف البجعة) و (العميل) و (الغرفة) و (صانع الأمطار) .. وآخر أعماله هى (الشريك) وقد نشرت عام ١٩٩٧، و (محامى الشوارع) عام ١٩٩٨، و (الشهادة) عام ١٩٩٩ ..

التصق (جريشام) بعالم القانون والمحاكم كما فعل سلفه (إيرل ستانلى جاردنر) فى قصصه عن (بيرى ميسون)، وهو مولع دائمًا بفكرة البطل الفرد الضعيف أمام قوى عاتية سياسية أو قانونية أو إجرامية، وهى فكرة تروق للقراء دائمًا، بالإضافة إلى حجم رواياته شديد الدسامة الذى يناسب القارئ الأمريكى؛ المولع بألا تقل صفحات أى رواية عن خمسمائة صفحة!

اليوم نقدم لكم قصة (العميل) التى كتبها

(جريشام) عام ١٩٩٣ ، وفيها يقف صبى صغير وحده أمام عمالقة الإجرام وقضية سياسية بالغة الخطر ..

إن أحداث القصة تبدأ هكذا ...

★ ★ ★

واحد ..

كان (مارك) فى الحادية عشرة من عمره ، وقد بدأ يدَخن دون انتظام منذ عامين ، ولم يحاول قط أن يكف عن هذا ، لكنه حاول جاهدًا ألا يضبطه أحد .

كانت أمه تدخن علبتين فى اليوم .. وكانت امرأة عاملة كثيرة المشاكل ، وعلى قدر من السذاجة فيما يتعلق بولديها ، ولم تتصور قط أن يمارس (مارك) ابنها عملاً كهذا .

حين أخذ أخاه (ريكى) ذا الثمانية أعوام إلى الغابة ، كانت فى جيبه أربع لفافات تبغ ، وقد ابتعد وسط الغابة عن الموضع الذى تقف فيه المقطورة . منذ رحيل أبيه صار (مارك) مسئولاً عن (ريكى) تمامًا ، وكان يشعر بأنه أب صغير

لأخيه . لقد علمه كيف يركب الدراجة ويرمى بالكرة وعلمه ما يعرفه عن كل شىء ، وكان يحميه من بلطجية المنطقة ..

توقف (مارك) وسط الغابة ، وقال لأخيه :

ـ « اجلس هنا .. »

وجلسا على جذع شجرة وراحا ينظران إلى الخلاء ما بين الأشجار الممتد أمامهما .

كان (مارك) أكثر نضجًا من (ريكى) حين كان فى نفس عمره .. كان ناضجًا طيلة عمره الصغير ، وقد علمه غياب الأب أشياء وأشياء .

سمع (ريكى) السيارة أولاً ، ثم سمعها (مارك) بدوره ، فقال بهدوء :

ـ « فقط ابق ساكنًا .. »

ظهرت سيارة (لنكولن) سوداء لامعة فوق

الهضبة ، ثم اتجهت نحوهما ببطء ، فألقى (مارك) بلفافة التبغ إلى الأرض وداسها بحذائه ..

وقفت السيارة قربهما مواجهة للطريق الترابى غير الممهد .. كانت عليها رخصة من (لويزيانا) .. انفتح الباب وخرج السائق ، وتفقد المكان حوله .

كان رجلاً ملتحيًا أصلع الرأس بدينًا .. اتجه إلى حقيبة السيارة وعبث بالمفاتيح حتى فتحها .. أخرج خرطومًا ثبت طرفه إلى ماسورة العادم ، ثم أولج الطرف الآخر من النافذة الخلفية للسيارة .. ثم إنه أغلق الحقيبة وبحث بعينيه عن شخص يراقبه ، ثم اختفى داخل السيارة وأدار المحرك ..

ـ « واو ! »

قالها (مارك) بصوت خفيض ؛ فسأله (ريكى) :

ـ « ماذا هنالك ؟ »

ـ « إنه يحاول أن يقتل نفسه .. » .

رفع (ريكى) رأسه وتساءل :

ـ « لا أفهم يا (مارك) .. »

ـ « هل ترى هذا الخرطوم ؟ إن غازات العادم ستدخل إلى السيارة وتفتك به .. لقد رأيت رجلاً ينتحر بهذه الطريقة فى فيلم سينمائى من قبل .. »

ودنا بين الأحراش أكثر .. فسأله (ريكى) :

ـ « ولماذا ينتحر ؟ »

ـ « وكيف لى أن أعرف ؟ لكن لابد من عمل شىء .. »

ـ « نعم .. لنفرّ من هنا حالاً .. »

ـ « لا .. إبق هنا لحظة .. »

وأمسك (مارك) بكتفه ليبقى رأسه خفيضًا .. سأله (ريكى) :

ـ « كم من الوقت يستغرق هذا ؟ »

ـ « ليس طويلاً .. لاتتحرك .. لو تحركت سأركلك بقوة .. »

وخفض رأسه وزحف على أربع بين الأعشاب نحو السيارة .. كان يعرف أن الرجل لن يسمعه لكنه كان يخشى حركة الأعشاب . دار حول السيارة ، ثم مدّ يده وانتزع الخرطوم من ماسورة العادم ورماه أرضًا ، ثم تراجع ، وبعد ثوان عاد إلى جوار (ريكى) يرمق المشهد ..

بعد خمس دقائق ـ بدت كأنها ساعة ـ انفتح الباب .. كان الرجل يصرخ ويغمغم ، واتجه إلى مؤخرة السيارة ليجد الخرطوم .. أطلق سَبة وأعاد الخرطوم إلى مكانه ، ونظر حوله فى توحش ، ثم عاد إلى السيارة وأغلق الباب ..

قال (مارك) فى ذعر :

- « إنه مجنون كالجحيم .. »

- « لنذهب من هنا .. »

- « لانستطيع .. لو نجح فى قتل نفسه لتورطنا فى أشياء كثيرة .. »

- « لن نخبر أحدًا بما رأيناه .. »

- « لن نرحل حتى أقول أنا إننا سنرحل .. »

التمعت الدموع فى عينى (ريكى) ، فأمره (مارك) بأن يبقى حيث هو .. ومن جديد زحف إلى السيارة ببطء ، وفك الخرطوم من ماسورة العادم ، وسرعان ما عاد لاهثًا إلى جوار أخيه ..

سأله (ريكى) :

- « ماذا لو رآنا ؟ »

- « لن يرانا .. لكن لو فعل يمكننا الهرب قبل

أن يخطو خطوة واحدة .. هل تفهم ؟ أنا أحاول حماية حياته .. ربما لو جرّب عدة مرات وفشل يعدل عن الأمر .. ما الذى يجعل هذا عسير الفهم ؟ »

- « إنه مجنون .. ومن السهل على من يقتل نفسه أن يقتلنا كذلك .. ما الذى يجعل هذا عسير الفهم ؟ »

هنا انفتح الباب من جديد .. وظهر الرجل الغاضب وفى يده زجاجة .. تفحص الخرطوم ، ثم هزّ رأسه كأنما فهم .. تفحص العشب عند مؤخرة السيارة .. كان مهشمًا .. أعاد الخرطوم لموضعه وعاد إلى السيارة ..

قال (ريكى) متوسلاً :

- « (مارك) أرجوك دعنا نذهب .. لربما كان يحمل مسدسًا .. »

ـ « لو كان يحمل مسدسًا لأطلقه على رأسه .. سوف أحاول مرة أخرى ، وإن لم يستسلم سنرحل وننسى الأمر .. أوكى ؟ »

ومن جديد زحف (مارك) على بطنه نحو السيارة ..

★ ★ ★

اتسعت فتحتا أنف المحامى وهو يشهق بعنف .. راح يرمق مؤخرة السيارة عبر المرآة الجانبية .. ثمة مسدس محشو على المقعد بجواره .. أغمض عينيه وجرع جرعة كبيرة من الزجاجة واستنشق بعمق .. راح يبكى ويكلم نفسه .. كان مذعورًا جبانًا لكنه مصمم على الانتحار .. سينتهى كل شىء سريعًا دون ألم ..

لن يفتقده أحد .. إنها فكرة أليمة لكنها مريحة .. ستكون جنازة صغيرة بلا دموع

وسيجلس المحامون ينظرون فى ساعاتهم ، بينما القس ينهى الخطبة سريعًا ..

هنا رأى فى المرآة العشب يهتز عند مؤخرة السيارة ..

★ ★ ★

رأى (ريكى) الباب ينفتح ، وظهر الرجل الضخم محتقن الوجه يركض نحو مؤخرة السيارة .. وقف (ريكى) دامعًا وبلل سرواله ..

تجمد (مارك) فأمسكه الرجل من شعره ، ودفعه نحو السيارة :

ـ « أنت أيها الوغد الصغير ! »

نظر (مارك) إلى الوجه المتوحش اللامع ، بعينيه الحمراوين وأنفه يسيل ..

أعاد المحامى تثبيت الخرطوم ثم جرّ الصبى

جرًا إلى السيارة ، فأغلق الباب عليهما ، وكان (مارك) يحاول فتح الزجاج حين جلس الرجل ، وقال :

- « لاتلمس هذا ! »

وصفع الصبى على وجهه بيده الغليظة .. شعر (مارك) بمذاق الدمّ فصرخ ألمًا .. شرب المحامى البدين من الزجاجة ونظر لـ (مارك) .. ثم ضحك ، وقال :

- « أظن أن علينا أن نموت معًا .. أنا متأسف جدًّا يا بنى .. حاولت أن تتذاكى وأن تحشر أنفك الصغير فى أمورى .. الآن علينا أن نموت معًا .. أنت وأنا .. سنذهب إلى (أرض الأحلام) .. »

تشمم الصبى الهواء .. ثم لاحظ أن المسدس بينهما .. نظر للرجل فقال هذا :

- « هل تريد المسدس ؟ »

- « لا يا سيدى .. »

- « لا تكذب يا صبى .. إننى مجنون كالجحيم ولسوف أقتلك لا محالة .. »

- « سيدى .. أنا لا أريد الموت .. أنا أرعى أمى وأخى الأصغر .. »

- « آه ! رجل البيت الصغير ! أليس هذا جميلاً ؟ أنا لم أطلق هذا المسدس من قبل .. لقد اشتريته من (ممفيس) منذ ساعة .. هل تظن أنه سيعمل ؟ »

سأله (مارك) وهو يشمّ الهواء ثانية :

- « لماذا تفعل هذا ؟ »

- « ليس هذا عملك يا بنى .. لقد رتبت كل شىء .. أنا وخرطومى .. رتبت انتحارًا صغيرًا لطيفًا ، لكنك تذاكيت علىّ ، وصار ضروريًا أن نذهب خلال خمس دقائق إلى (أرض الأحلام) .. »

★ ★ ★

تحرك (ريكى) ببطء وأسنانه تصطك .. زحف نحو السيارة .. إن الرجل المجنون الضخم السريع الحركة ، سيفتح الباب الآن ويمسك به مع (مارك) ..

إلا أنه شق طريقه ...

★ ★ ★

رفع (مارك) المسدس نحو وجه المحامى .. كان ثقيلاً كقالب القرميد ..

نظر له المحامى فى استمتاع ، وقال :

ـ « اجذب الزناد يا صبى .. اجذبه ..ولسوف أموت وتتحرر أنت .. »

وطبع قبلة على ماسورة المسدس ، وعض الفوهة بأسنانه ..

أغمض (مارك) عينيه وكاد يضغط ، لكن الرجل انتزع المسدس منه ووجهه إلى الزجاج

خلفه وجذب الزناد .. صرخ (مارك) إذ تهشم الزجاج خلف رأسه إلى ألف قطعة لكنه لم يتناثر ..

قرر (مارك) الباكى أن يشتت ذهن الرجل كى لا يفكر فى المزيد :

ـ « لماذا تريد أن تموت ؟ »

ـ « أنت تسأل أسئلة كثيرة يا صبى .. »

ـ « لأننى صبى .. »

ـ « ما اسمك ؟ »

ـ « (مارك) .. »

ـ « وأنا (جيروم) .. يمكنك أن تدعونى (رومى) .. هكذا يدعونى الأصدقاء .. هل تشم رائحة الغاز ؟ خمس دقائق لا أكثر .. أية كلمات أخيرة يا صبى ؟ »

ونظر (مارك) للمرآة الجانبية فرأى العشب يهتز .. لاتوجد رائحة غاز .. من المؤكد أن (ريكى) قد انتزع الخرطوم ..

- « لماذا تفعل هذا ؟ »

- « لأننى مجنون .. مجرد محام مجنون آخر .. لقد جعلونى مجنونًا .. منذ عدة أسابيع عرفت سرًا لا يعرفه أحد فى الكون ، ما عدا عميلى وهو قطعة من القذارة .. لهذا ترى يا (مارك) أن المحامين يسمعون أسرارًا كثيرة .. أشياء خاصة جدًا .. هل تفهمنى ؟ إننى فى الرابعة والأربعين .. إننا صغيران جدًا على الموت .. ألا ترى هذا يا (مارك) ؟ »

- « بلى يا سيدى .. »

- « لقد قتل عميلى رجلاً وأخفى جثته .. الآن يريد هذا العميل أن يقتلنى .. يمكننى أن أخبرك

بمكان دفن الجثة .. الجثة التى هى أكثر الجثث تخبئة فى عصرنا .. إن هذا ممتع يا (مارك) .. المحامى الموثوق به يتكلم أخيرًا .. »

نظر (مارك) إلى المحامى ثم إلى مقبض الباب بجواره .. إنه مغلق بزرّ التأمين .. قال المحامى :

- « كفّ عن شم الهواء يا أحمق .. إن الغاز بلا رائحة .. كنت سأكون ميتًا الآن بينما تلعب أنت (جى آى جو) مع رفاقك ، لو لم تتدخل فى أمورى .. أنت غبى .. إن عميلى قد قتل عضوًا فى مجلس الشيوخ الأمريكى .. ألا تقرأ الصحف ؟ أو عضو مجلس شيوخ يقتل فى منصبه .. السناتور (بويت) .. إن عميلى قد قتل كثيرًا من الناس .. هكذا يكسب عيشه .. إنه من مافيا (نيو أورليانز) ، وهو الآن يحاول قتلى .. لكننا نخدعه الآن .. (عليه واحد) ! سننتحر قبل أن يظفر بنا ! »

وشرب جرعة وقال :

ـ « إن (بارى الموس) أو (الموس) كما يسمونه .. كل رجال المافيا هؤلاء لهم أسماء تدليل لطيفة فعلاً .. إن (الموس) ينتظرنى فى مطعم قذر فى (نيو أورليانز) الآن ، وبعد عشاء هادئ سيطلب منى أن نتنزه فى السيارة ليكلمنى عن القضية ، ثم يسحب الموسى .. لهذا يسمونه (الموس) .. بعدها ينتهى الأمر .. سيتخلصون من جثتى فى مكان ما ، ولكننا قد خدعناهم .. »

كان لسانه يزداد غلظة ، وكلامه يزداد ثقلاً .. قرر (مارك) أن يكسب وقتًا أكثر ، فسأله :

ـ « لماذا يريد هذا الـ (بارى) أن يقتلك ؟ »

ـ « هذا سؤال آخر .. أنت كثير الأسئلة .. إن جثة (بويت) التى قتلها عميلى العزيز (بارى

مولدانو) فى مكان أمين .. لا جثة لا قضية لا إدانة .. هل تفهم هذا ؟ إن رجال المباحث الفيدرالية يشتبهون فى (بارى) ، لكنهم لا يعرفون أين الجثة .. إن (الموس) ليس أذكى رجل قابلته كما تعرف .. إنه يعتبر نفسه عبقريًا لكنه غبىّ جدًا .. إن الجثة تحت قاربى .. نعم قاربى .. كنت أنا خارج المدينة لهذا أخذ عميلى المحبوب الجثة إلى دارى ، ودفنها فى الخرسانة تحت القارب الذى أضعه فى المرآب .. هل تصدق هذا ؟ لقد حفر رجال المباحث الفيدرالية FBI نصف (نيو أورليانز) لكنهم لم يفكروا فى منزلى .. ربما لم يكن (بارى) غبيًا كما حسبته .. »

كانت عينا الرجل مغمضتين .. وفكر (مارك) فى أنه يغيب عن الوعى ببطء .. لقد رأى هذا المشهد مع أبيه مئات المرات ..

مدّ (مارك) يده ببطء إلى مقبض الباب ، وفكر : لن تكون فرص أخرى .. فما إن سقط ذقن المحامى على صدره ، حتى فتح (مارك) زرّ التأمين والمقبض واندفع من الباب .. لم يحدث المحامى صخبًا وإنما واصل الغطيط ..

ابتعد (مارك) على ركبتيه بين الأعشاب ولحق بأخيه الخائف .. نظر للوراء ليرى هل يتبعه الرجل ، لكن السيارة بدت له غير مؤذية ..

قال (ريكى) بصوت راجف :

ـ « لقد جذبت الخرطوم .. »

هزّ (مارك) رأسه .. إن الأمور تتحسن .. ولو خرج (رومى) من السيارة فسوف يفرّان فى ثانية واحدة .. نظر (ريكى) إلى حاجب أخيه ، وقال :

ـ « ماذا حدث لحاجبك ؟ »

هنا تذكر (مارك) الإصابة .. تحسس حاجبه المتورم ، وقال :

ـ « لقد صفعنى .. »

فجأة انفتح الباب وخرج (رومى) ملوحًا بالمسدس ، واتجه إلى مؤخرة السيارة .. وجد الخرطوم على الأرض ، فراح يبكى .. العرق والدموع يغمران وجهه ، ثم توقف .. دار حول السيارة كأنه فيل مُخدَّر ..

ثم استند إلى السيارة ، ودسَّ فوهة المسدس فى فمه .. وأغمض عينيه وجذب الزناد ..

★ ★ ★



ثم استند إلى السيارة ، ودس فوهة المسدس فى فمه ..
وأغمض عينيه وجذب الزناد ..

اثنــان ..

كان (بارى مولدانو) ـ أو (بـارى المـوس) ـ يرتدى سترة خضراء لامعة كأنها جلد سحلية ، لكن سرعان ما تتبين أنها من (البولى إستر) .. لم تكن أنيقة بشكل خاص لكنها لافتة للنظر توحى بمهرب مخدرات يربح كثيرًا .. وكان هذا يناسبه لأنـه كـان مولعًا بـأن يهابـه النـاس ويتراجعوا ذعرًا حين يرونه ..

كان شعره جزلاً أسود جذبه للوراء ، فى ذيل حصان أنيق يتدلى على ظهر السترة .. وثمة قرط من الماس يتدلى من أذنه اليسرى ، وسوار ذهبى فى معصمه الأيسر .. بينما سلسلة من ذهب تتأرجح من ساعده الأيمن ..

توقف عند أحد الهواتف فى مؤخرة المطعم ..

نظر حوله ورفع السماعة ، وبالنسبة للشخص العادى ؛ كان منظر عينيه الشرستين الباحثتين عن العنف مما يجعل الأمعاء تتحرك .. عينان متقاربتان توحيان - لمن يتحمل النظر إليهما - أن (بارى) أحول ، لكنه لم يكن كذلك .. وكان (بارى) يحب عينيه كثيرًا .. إنهما أسطوريتان ..

طلب رقم المحامى ، وقال بصوت غير مسرور :

- « أنا (بارى) .. أين (جيروم) ؟ لماذا تأخر ؟ كان عليه أن يقابلنى منذ أربعين دقيقة .. »

كانت لهجته توحى بشخص حطم ذراع الكثيرين ، ولسوف يفعلها مرارًا .. وكانت السكرتيرة المذعورة تكاد تراه .. ترى عينيه وضفيرته وسترته .. وحمدت الله على أنه ليس أمامها الآن .. قالت له إنها لاتعرف لأن (كليفورد) غادر العمل فى التاسعة ولم تره بعد ..

كان بحاجة إلى عشاء مع محاميه لمناقشة القضية .. فقط عشاء .. إن المباحث الفيدرالية تراقبه ، وكان (جيروم) يعتقد أنهم يتنصتون على مكتبه ، لهذا اختار هذا المطعم .

كان (جيروم) يدافع عن رجال العصابات فى (نيو أورلينز) منذ خمسة عشر عامًا .. وكان سجله مؤثرًا .. إنه خبيث فاسد مستعد لشراء الناس ، ورشوة القضاة ورجال الشرطة ، وتهديد المحلفين ..

وحين كان أى لصّ ثرى يتورط فى جريمة فى (نيو أورلينز) ، كان يصل دائمًا إلى مكتب (جيروم كليفورد) .. هناك يجد صديقًا حميمًا تربى على المال الحرام ، ومخلصًا إلى النهاية ..

إلا أن قضية (بارى) كانت مختلفة .. كانت ضخمة وتنمو طيلة الوقت ..

لقد حوكم بتهمة القتل مرة فى سن ١٨ ، وقد أخرجه منها عمه رجل المافيا الثرى بسهولة .. الآن يختلف الأمر كثيرًا ، فالضحية هذه المرة سناتور .. عضو فى مجلس الشيوخ .. إنها قضية (شعب الولايات المتحدة ضد بارى مولدانو) (*) .. لكن لم تكن هناك جثة ، وهى مشكلة بالنسبة لشعب الولايات المتحدة .. لاجثة .. لا تقارير تشريح .. لاصورًا دامية يراها المحلفون ..

إلا أن (جيروم كليفورد) بدأ ينهار .. يختفى .. ويبتعد عن المكتب ولا يردّ على المكالمات .. الآن يحتاج (بارى) إلى محام جديد .. لماذا تتحرك العدالة بسرعة حين لاتريد أنت ذلك ؟

(*) تعبير قانونى شائع فى توجيه الاتهام فى الولايات المتحدة : الشعب ضد فلان ..

إن رجال المباحث الفيدرالية يراقبون (بارى) منذ ستة أشهر .. بل هم يراقبونه فى هذه اللحظة بالذات ، كأنه أحمق إلى درجة أن يتناول عشاءه ، ثم يذهب ليرى الجثة ، لمجرد أن يستمتع بهذا ..

لقد استجوبوا كل متسكع فى الشوارع ، ونزحوا كل بركة ونهر بحثًا عن جثة السناتور .. لكن (بارى) يملك الجثة .. يتمنى نقلها لكنه لايجرؤ على هذا .. ليس الآن ..

إنه بحاجة الآن إلى محام آخر يردّ على مكالماته ويقابله ، ويرشو القاضى والمحلفين .. محام حقيقى ! محام يعطل القضية قليلاً .. كان (كليفورد) ميالاً إلى التعجيل بالمحاكمة قبل أن يجد أحدهم الجثة ، وكان هذا مصدر خلاف بينه وبين (بارى) ..

وصل إلى مكتب (كليفورد) الذى كان قريبًا من المطعم .. كان الباب موصدًا .. هزّه (بارى) مرارًا ، وأشعل لفافة تبغ أخرى ، ثم راح يبحث فى موقف السيارات عن الـ (لينكولن) السوداء .. سيجد الوغد البدين ولو بحث طوال الليل ..

كان لـ (بارى) صديق له محام جيد بارع فى (ميامى) .. وقد نجح المحامى فى أن يؤخر القضية عامًا ونصف العام ، ثم قرر القاضى بدء المحاكمة ، لهذا اضطر صديق (بارى) إلى قتل محاميه ، وهكذا تأجلت القضية من جديد ..

لو مات (رومى) فجأة لاحتاج الأمر إلى أشهر ، وربما أعوام قبل المحاكمة ..

★ ★ ★

ثلاثـــة ..

استدار (ريكى) للوراء وراح يجرى هلعًا .. صاح (مارك) يناديه لكن دون جدوى .. على كل حال قد رأى ما يكفيه ، فراح يلحق بأخيه .. كان الأخير يجرى بطريقة غريبة ، وقد انحنى إلى الأمام ، ويداه مدلاتان إلى جواره ، وكانت الأعشاب تضربه فى وجهه لكنه لا يتوقف ..

أوقفه (مارك) ، وهزّه بعنف ، لكن (ريكى) كان يتصرف كالزومبى بوجهه الشاحب وعينيه المتسعتين .. ولم ينطق بحرف ..

وصلا إلى المقطورة التى تعيش فيها الأسرة - أسرة (سواى) - الواقفة فى الشارع الشرقى .. وثب (ريكى) إلى الداخل وارتمى على الأريكة ..

كان وجهه يحمل تعبير البكاء لكن من غير دموع ، وسرعان ما انثنى على نفسه ودسّ إصبعًا فى فمه .. وراح يمتص الإصبع بعنف شديد ..

صاح به (مارك) :

ـ « تكلّم .. حدثنى يا رجل ! »

لم يردّ (ريكى) ، فتركه (مارك) واتجه إلى الثلاجة ، وأخذ مكعب ثلج وضعه على حاجبه المتورم وراح يتأمل أخاه .. لقد نام وهو فى نفس الوضع العجيب ..

على (مارك) أن يطلب رقم ٩١١ ـ خدمة الطوارئ ـ وكان يعرف من التلفزيون أن المكالمات يتم تسجيلها ، ولم يكن راغبًا فى ذلك .. كان بحاجة إلى أن يناقش الأمر مع أخيه حتى يطبخا كذبة جيدة ، لكن أخاه ليس فى حال مناسبة ..

طلب رقم ٩١١ ، وتكلم بأعمق صوت ممكن ، وقال :

ـ « ثمة رجل ميت فى الغابة .. يجب أن تأتوا لتخرجوه .. »

جاء صوت آلى لامرأة تقول :

ـ « من المتكلم ؟ »

ـ « لا أريد أن أقول .. »

ـ « إذن أين الجثة يا بنى ؟ »

جميل .. إنها تعرف أنه صبى الآن .. على كل حال ما كان ليخدعها .. قال :

ـ « إنه قرب (تاكرهيل إستيتس) .. قرب الطريق السابع عشر .. سيارة فى الأحراش .. رصاصة فى الفم .. »

كان يعرف أنهم يسجلون صوته ، وعما

قريب سيجرون كل اختبارات الصوت الممكنة ويعرفون أن المتكلم هو (مارك سواى) ..

سألته :

ـ « هل رأيت الجثة ؟ »

قال لنفسه إن هذا سؤال سخيف .. إنها تضيع الوقت إلى أن يتتبعوا المكالمة .. فقال لها :

ـ « اسمعى .. هناك طريق ترابى يتفرع من الطريق ١٧ .. سيارة كبيرة سوداء ، والرجل صريع فوقها ، فإن لم تجديها فهذا حظك السيئ .. وداعًا .. »

ووضع السماعة ، واتجه إلى الباب ينظر إلى الخارج .. متوقعًا أن يجد قوات مكافحة الإرهاب وسيارات الدورية والأضواء ومكبرات الصوت ..

عاد ينظر إلى (ريكى) الغارق فى العرق ، والذى لم يكفّ عن امتصاص إصبعه ..

كتب ورقة لأمه يخبرها أن (ريكى) مريض وعليها أن تعنى به حتى يعود .. ولم يلحظ صوت الهليوكوبتر البعيد ..

★ ★ ★

التمعت الأضواء فى كل صوب .. زرقاء من سيارات الشرطة وحمراء من سيارة الإسعاف .. والتفت سيارات شرطة (ممفيس) البيضاء حول الـ (لنكولن) السوداء .. لم يبد القلق على أحد ، وراح رجل شرطة يلتقط الصور بينما الآخرون يضحكون .. كان (رومى) حيث تركه (مارك) ورأسه مائل لليمين ، وبركة دم من حوله .. أبواب السيارة الأربعة مفتوحة ، وقد تم فحص السيارة بعناية من الداخل ..

كان (مارك) مازال متواريًا يرمق مايحدث .. ووصلت سيارة شرطة أخرى بها رجال يحملون

حقائب بيضاء ، وراح مصورّ يلتقط مزيدًا من الصور ، ثم قام مسعفان بحمل جثة (رومى) وهما يمزحان حول مدى بدانة القتيل ..

سمع (مارك) حركة خلفه ، ثم أمسكت يد قوية بكتفه وسمع من يقول :

ـ « ماذا هناك يا صبى ؟ »

استدار فوجد شرطيًا .. تجمد ولم يستطع التنفس .. وقال :

ـ « كنت أراقب لا أكثر .. »

تأمله الشرطى على ضوء الكشاف ، ثم وضع يده على كتفه ، وقال :

ـ « دعنا ندنُ منهم .. »

ـ « أريد أن أعود لدارى .. »

ـ « ما اسمك ؟ »

ـ « (مارك سواى) .. »

ولحقا برجال الشرطة الواقفين حول السيارة ، فقال الشرطى :

ـ « مرحبًا يا شباب .. هذا هو (مارك سواى) .. الصبى الذى أجرى المكالمة ! »

أراد (مارك) أن يكذب ، لكنه شعر بأن الكذب لن يجدى ..

ـ « كيف وجدت الجثة يا (مارك) ؟ »

ـ « كنت أنا وأخى نلعب ثم .. وجدنا نفسينا أمام السيارة .. »

هنا انهالت الأسئلة من رجال الشرطة .. عنه وعن أخيه وعن إصابة وجهه ..

ـ « هى مشاجرة فى المدرسة يا سيدى .. »

ـ « وهل رأيت الرجل قبل أن يموت ؟ »

ـ « لا يا سيدى .. كنا نمشى فوجدناه هكذا ميتًا .. وطلبت ٩١١ .. »

تبادل الرجال النظرات ، فحاول (مارك) أن يبدو مثيرًا للشفقة .. إنه مجرد غلام ..

أشار رجل الشرطة الأول الذى عرف (مارك) إن اسمه (هاردى) ؛ إلى سيارة الشرطة ، وقال :

ـ « تعال معى .. سنوصلك لدارك .. »

ـ « لا داعى .. سأعود وحدى .. »

ـ « الظلام شديد .. أنا مصرّ على أن أوصلك .. »

★ ★ ★

أربعة ..

اتصلت (ديانا سواى) بعيادة الأطفال .. كانت جالسة على فراش (ريكى) تعض أظفارها بانتظار وصول الطبيب إلى الهاتف .. كان الصبى ما زال متكورًا على نفسه يمصّ إصبعه .. وهنا دخل (مارك) مع الملازم (هارى) .. نظرت للأول فى جزع ، وقالت :

ـ « ماذا فعلت ؟ »

ـ « لا شىء يا أماه .. »

نظرت للملازم وتساءلت :

ـ « إذن لماذا أنت هنا ؟ »

ـ « هى قصة طويلة يا سيدتى .. لقد رأى ابنك الصغير (ريكى) شيئًا شنيعًا ، وربما هو فى حالة صدمة .. »

- « صدمة ؟ »

هنا جاء الطبيب إلى الهاتف ، فحكت له (ديانا) حالة ابنها .. قال رجل الشرطة :

- « سنستدعى سيارة إسعاف .. لابد من أن يدخل المستشفى .. »

- « هل سيتحسن ؟ »

- « لا أدرى .. لقد رأيت مثل هذا كثيرًا .. مع الأطفال الذين يرون إطلاق الرصاص أو الطعن .. إنها صدمة عامة وتحتاج إلى وقت للتغلب عليها .. »

جاءت الإسعاف أخيرًا ، فحمل (هارى) (ريكى) إلى النقالة وربطه .. حاول الطفل أن ينثنى على نفسه لكن أربطة (الفلكرو) أبقته حيث هو ، فراح يئن .. حررّت (ديانا) يده اليمنى كى يصير إصبعه متاحًا للمصّ ..

وجلس (مارك) فى المقعد الأمامى من سيارة الشرطة جوار (هاردى) ، الذى ضغط على مفتاح ما ، فراحت الأنوار الزرقاء تدور حولهما ، وتقدم (هاردى) سيارة الإسعاف ليفسح لها الطريق ..

قال (هاردى) فجأة فى الطريق :

- « هل تقول الحقيقة يا بنى ؟ »

- « نعم يا سيدى .. »

- « هناك أشياء غريبة .. لماذا أخفيت اسمك لدى إجراء المكالمة ؟ لماذا عدت لمسرح الجريمة وتواريت بين الأشجار ؟ إن المختبئين دائمًا خائفون .. ثالثًا : لماذا ذعر (ريكى) ، وقد رأى نفس ما رأيته ، بينما أنت فى حال طيبة ؟ »

فكّر (مارك) ولم يجد ما يقول .. بعد قليل همس :

- « كنت خائفًا ومازلت .. هذه أول جثة أراها فى حياتى .. »

- « إن لدى شكوكى يا صبى .. هل تريد أن تعرفها ؟ أعتقد أنكما كنتما فى الغابة تدخنان .. لقد وجدت عقب سيجارة طازجًا تحت الشجرة .. »

حاول (مارك) أن يسيطر على رجفة يده أمام عينى الرجل ، وقال :

- « هل تقبضون على الصبية المدخنين ؟ »

- « لا .. لكن الصبية الذين يكذبون على الشرطة يقعون فى شتى أنواع المتاعب .. »

- « لم يحدث شىء .. كنا نمشى فى الأحراش نفكر .. ثم اصطدمنا بالسيارة و (رومى) .. »

نظر له (هاردى) ، وقال :

- « من هو (رومى) ؟ »

تماسك (مارك) وتنفس بعمق .. فى النهاية أدرك أن كل شىء انتهى .. لقد تكلم أكثر من اللازم ، وكذب أكثر من اللازم .. لم تدم قصته أكثر من ساعة واحدة .. قال :

- « إنه اسمه .. أليس كذلك ؟ »

- « نعم .. لقد قلت لأمك إن اسمه (كليفورد) من (نيو أورليانز) .. »

- « خيل إلى أنك قلت (رومى) .. »

واستدارت السيارة يمينًا وقد وصلت إلى المستشفى ..

★ ★ ★

خمســـة ..

جلس (ج. روى فولتريج) المحترم، المدعى العام للولايات المتحدة عن قطاع جنوب (لويزيانا)، وراح يمتص العصير من علبة عصير طاطم، وقد مدّ ساقيه فى المقعد الخلفى للسيارة (الشيفروليه) الأنيقة ..

كانت (ممفيس) على بعد خمس ساعات شمالاً، وكان بوسعه أن يركب طائرة لكنه كان يهاب الطائرات وإن لم يعترف لنفسه بهذا قط ..

كان مساعده (لارى ترومان) جالسًا جواره، وكان عميلاً للمباحث الفيدرالية مخضرمًا .. قال له:

ـ « إننا نحاول إقناع الشرطة فى (ممفيس)

بترك السيارة والجثة لنا .. لابد أنه حاول خنق نفسه بعادم السيارة لكن الحيلة فشلت لسبب ما .. يبدو أنه كان يعتزم ابتلاع علبة من الأقراص المنومة، لكنه لم يفعل .. »

ـ « هل أنتم متأكدون من أنه انتحار ؟ »

ـ « بالتأكيد .. اتجه إلى غابات (ممفيس) واعتنى بنفسه .. »

ـ « ولم ير أحد ما حدث ؟ »

ـ « ثمة صبيَان وجدا الجثة .. لكن أحدًا لم ير الموت نفسه .. وقد ترك مذكرة انتحار هى مجرد تعليمات لسكرتيرته بصدد الجنازة .. ستصلنا بالفاكس حالاً .. يبدو أنه أراد كتابة شىء إضافى بقلم (بيك) أزرق، لكن الحبر جفّ قبل أن يكتبه .. »

ـ « وأين (مولدانو) الآن ؟ »

- « إنه فى (سانت أورليانز) الآن، ونحن نراقبه .. »

- « سيجد محاميًا آخر خلال ساعة، وعند ظهر غد ستكون لدى المحاكمة دستة من طلبات التأجيل، لأن موت محاميه يحرمه من حقه فى محاكمة عادلة .. لسوف نعارض هذا طبعًا .. ولسوف نخسر .. ولسوف يتأخر الأمر ستة أشهر كاملة .. هل تصدق هذا ؟ »

فكر (روى) إنه يحتاج إلى بعض الوقت هو الآخر .. إنه يمثل شعب الولايات المتحدة .. يمثل العدالة .. وقد كان محقًا .. ستكسب الولايات المتحدة هذه القضية، ويحرز نصرًا عزيزًا على المافيا .. إنه يستطيع أن يرى عناوين الصحف ويشم حبرها .. فقط عليه أن يجد جثة (بويت) وإلا لن تكون هناك إدانة، ولا لقاءات على شاشة CNN، ولا صعود إلى مجلس الشيوخ.

قال العميل الآخر (فلينك) :

- « أعتقد أن المحامى كان يعرف أين الجثة .. »

قال (فولتريج) :

- « فكر فى هذا .. تصوَّر أنك - لاسمح الله - المحامى، وأنك تمثل قاتلاً فتك بعضو فى مجلس شيوخ الولايات المتحدة .. لنفترض أن القاتل أبلغك بمكان الجثة .. هكذا يوجد رجلان فقط فى الكون يعرفان السر .. وأنت المحامى تقرر أن تقتل نفسك وتصمم على هذا .. تقود السيارة خمس ساعات لتقتل نفسك .. هل تشرك أحدًا فى سرك ؟ هناك فرصة واهية فى ذلك، وعلينا أن نمحصها بدقة .. تحقق من مسار رحلة (كليفورد) .. افحص بطاقة ائتمانه .. أين أكل ؟ أين وضع وقودًا لسيارته ؟ من هم أصدقاؤه ؟ »

كان لديهم عمل كثير بالانتظار ..

★ ★ ★

ســـتة ..

هرع أحد الأطباء عبر بـاب الطوارئ ، وقـال شيئًا لموظفـة الاستقبال .. ثم دنـا مـن (ديانـا) وقدّم نفسه باسـم دكتـور (سيمون فريواى) .. كان طبيبًا نفسيًّا ، وقـد استدعاه طبيب الأطفـال لمناظرة الحالة ..

سأل الملازم (هاردى) (مارك) عما إذا كـان جائعًا ..

ما كان (مارك) جائعًـا لكنـه كـان يرغب فـى ترك المكان .. فقال الشرطى :

ـ « لنذهـب إلى الكافيـتريا .. سأبتــاع لـك (هامبرجر) بالجبن .. »

ومرّا عبر صالة مزدحمة إلى الطابق السفلى ..

أشـار (هـاردى) إلـى منضدة فارغـة فـى ركـن المكان ، ودعا الصبى للجلوس هناك ..

كان يحاول جعله يتكلم بأى ثمن .. وقد هـدده بأن أخاه لن يشفى ، ولسوف يرسل إلى مؤسسة عقليـة حيـث يربطونـه بالسلاسـل ويطعمونـه بالأنـابيب .. كـان رجلاً طيبًا لكنـه ارتكب خطـأ التعامل مع (مارك) وكأن عمره خمسة أعوام ..

من المدهش أن ترى كيف تنمو الأكـاذيب .. أنـت تبدأ بأكذوبـة صغيرة سـهلة التغطيـة ، ثـم تتورط فتغطيها بأخرى ثم أخرى .. وفى النهايـة تجد نفسك تتمنى لو قلت الحقيقة مـن البدايـة .. ليته قال كل شىء من أول لحظة ..

جاء (هارى) يحمـل صينيـة عليهـا الشطائر والبطـاطس المقليـة وعلبـة مياه غازيـة ، فبـدأ (مارك) يأكل ..

- « من الصبى الذى جرح وجهك هكذا ؟ »

سحقًا ! إن رجال الشرطة لا يتعبون .. عليك أن تكذب لتغطى كذبة أخرى .. قال للشرطى :

- « لا أعرفه .. كنا فى الغداء وتشاجرت مع ذلك الصبى ، وقررنا أن نلتقى بعد المدرسة لتسوية الأمر .. أنت تحسبنى أكذب أليس كذلك ؟ »

كفَ رجل الشرطة عن المضغ ، وقال :

- « لا أعرف يا صبىّ .. إن قصتك ملأى بالثغرات .. »

كان (ريكى) فى غرفة بالطابق التاسع ، حيث جناح الأمراض النفسية .. الأضواء خافتة والأصوات أكثر هدوءًا .. هناك حارس أمن يتهامس مع الممرضات ويراقب الداخلين ..

وقد صعد (مارك) إلى غرفة أخيه ، بينما

جلس الملازم (هاردى) فى الكافيتريا يتحدث مع المخبر الخاص (جيسون ماكتون) من المباحث الفيدرالية .. وقربهما كان عميل آخر يجول قرب المصعد ..

شرح (جيسون) للملازم أن المباحث الفيدرالية قد تولت القضية بالكامل(*) ، وتولى عملاؤها رفع بصمات السيارة ، وقد وجدوا بصمات طفل بالداخل ، وهم راغبون فى معرفة ما إذا كان (مارك) قد دخل السيارة .. قال (هارى) :

- « لا .. لكنى لا أحسبه يقول الحقيقة .. »

- « هل لمس شيئًا يمكن أن نأخذه لنجد بصماته عليه ؟ نحن نشك فى كونه كان فى السيارة قبل انتحار المحامى .. »

(*) الشرطة والمباحث الفيدرالية جهتان مختلفتان تمامًا ، ومتنافستان فى الغالب ..

نظر (هاردى) إلى سلة المهملات، وقال:

- « هذه هى .. لقد شرب علبة مياه غازية وهو يجلس هنا .. سلة مهملات واحدة بها علبة واحدة .. بالتأكيد هى هذه .. »

نظر (مكتون) حوله، ثم لفّ يده بمنديل ومدّها داخل سلة المهملات، وأخرج العلبة ليدسها فى جيبه ..

- « هل سيبيت الصبى ليلته هنا ؟ »

- « نعم .. لقد وضعوا فراشًا آخر فى غرفة أخيه .. »

★ ★ ★

قال دكتور (فريواى) للأم بعدما فرغ من فحص (ريكى) ..

- « هذه حالة حادّة من (اضطراب توتر مابعد الصدمة) .. »

سأله (مارك):

- « مامعنى هذا ؟ »

- « حين يرى شخص شيئًا مفزعًا لايستطيع التعامل معه .. إن أخاك لم يستطع استيعاب تلك الخبرة المروّعة .. سنغذيه بالمحاليل لأنه لايأكل، ولربما يتعافى غدًا .. سيشعر بالعزلة والحيرة ويلوم نفسه على ماحدث، لهذا يجب عليكما أن تبقيا لتشعرا الصبى بالأمان والدعم العاطفى والجسدى .. »

نامت الأم من التعب بعد يوم طويل حافل بالعمل والانفعالات، لكن (مارك) كان متوترًا قلقًا .. لهذا غطى أمه بالملاءة، وقرر أن يستكشف هذا الطابق، ولربما اتجه إلى الكافتيريا قليلاً ..

★ ★ ★



نامت الأم من التعب بعد يوم طويل حافل بالعمل والانفعالات ، لكن (مارك) كان متوترًا قلقًا .. لهذا غطى أمه بالملاءة ، وقرر أن يستكشف هذا الطابق ..

سبعة ..

كان (فولتريج) مولعًا بأن يكون محاطًا بمرافقين .. مولعًا بلحظة أن تدور أجهزة التصوير ، وهو يمشى نحو المحكمة وحوله (فينك) و (والى بوكس) ، وقد أمضى كثيرًا من الوقت يراقب نفسه فى أفلام (الفيديو) .. كان يجيد المشى أمام العدسات وهو يعقد كفيه أمام صدره ، كأنه يتمنى لو يجيب كل الأسئلة ، لكنه كرجل بالغ الأهمية ليس لديه وقت ..

لكنه إذ دخل المبنى الفيدرالى فى الشارع الرئيسى من (ممفيس) بعد منتصف الليل ؛ لم يكن حوله كثيرون .. فى الداخل كان رجل المباحث الفيدرالية (جيسون ماكتون) يرشف القهوة مع عميلين مرهقين ..

جلس (فولتريج) على المقعد الوحيد ، وراح (ماكتون) يحكى له تفاصيل القصة والعثور على السيارة ، والصبى الشاهد .. إلخ .. إلخ .. وقال :

ـ « اسم الصبى (مارك سواى) ، وهو كاذب .. نحن نعرف أنه كاذب .. إن بصماته تملأ السيارة من الداخل .. لقد ضاهينا البصمات ونعرف جيدًا أنه كان داخلها .. ثم إن هناك عقب سيجارة تحت شجرة .. (فيرجينيا) .. نفس النوع الذى تستعمله الأم .. من الواضح أنه كان يدخن حين ظهر (كليفورد) بسيارته .. ربما جذب خرطوم العادم لكننا لسنا متأكدين .. إن الحصول على بصماته فوق الخرطوم صعب إن لم يكن مستحيلاً .. »

ـ « لقد أطلق (كليفورد) طلقة من مسدسه داخل السيارة .. لانعرف متى ولماذا حدث هذا ، لكنه حدث .. »

تساءل (بوكس) :

ـ « لماذا (ممفيس) ؟ »

هزّ (فولتريج) رأسه مؤيدًا السؤال ، فقال (ماكتون) :

ـ « لأنه ولد هنا .. »

قالها فى ثقة كأن من الطبيعى أن ينتحر كل إنسان حيث ولد .. كانت دعابة لكن (فولتريج) لم يفهمها ، فأدرك (ماكتون) أن الرجل لم يكن ذكيًا إلى هذا الحدّ ..

قدّم لـ (فولتريج) مذكرة الانتحار ، وقال :

ـ « خذ الحذر .. إنها أصلية .. لقد كتبت كلها فى وقت سابق ، ما عدا إضافة بقلم (بيك) نفد حبره .. تقول : (مارك) .. أين أنت ؟ هذا ما استطاع خبيرنا قراءته .. الرجل ليس له

أقارب ولا أصدقاء باسم (مـارك)، وهـذا يعنـى أنه يتحدث عن (مارك سواى) .. نحن نعتقد أن الصبى كـان فـى السيارة وتحدّث إليـه الرجل، وعرف الصبـى أن اسـم المحـامى (رومـى)، وعرف هو اسم الصبى .. بعد هذا يفرّ الأخير من السيارة، فيدون المحامى هذه العبارة، ثم يطلق الرصاص على نفسه ..»

ـ «ولماذا يكذب الصبى؟»

ـ «أولاً لأنه خائف .. ثانيًا لأنه صبى .. ثالثًا لأن (كليفورد) أخبره بشىء مخيف ..»

كان تقريره عـن الحادث بارعًا، وقد ترك صمتًا مؤثرًا فى الحجرة بعد ما فرغ .. أخيرًا قال (فولتريج):

ـ «يجب أن نعرف مايعرفه الصبى (مـارك) .. إن ما لاتعـرفـه يا مستر (ماكـــتون) هو أن

(كليفورد) يعرف مكان جثة (بويت) ..»

قال (ماكتون) فى نفاد صبر:

ـ «هنـاك أشياء كثيرة لا أعرفهـا يـا مستـر (فولتريج) .. إن هذه هى (ممفيس) وأنتم من (نيوأورليانز) .. لكنى لا أريد أن أعرف أكثـر .. إننى غـارق فـى الجثث حتى ذقنـى هنـا .. إنهـا الواحدة صباحًا، وهأنذا مازلت أعمل فى قضيـة لاتخصنى، لهذا سأظل أعمل فيها حتى الواحـدة ظهـر غـد، وبعدهـا يتولاهـا صديقــى (لارى ترومان) ..»

قال (فولتريج):

ـ «إن القضـيـة مهمـة بالنسبة للمباحـث الفيدرالية، ولسوف يقـدر رئيسـها الأمـر لـو عرف مدى تعاونك ..»

- « أشك فى هذا .. »

- « إن علينا أن نعرف كل ما قيل للصبى .. هل تفهم ؟ »

نظر له (ماكتون) ولم يقل شيئًا ..

★ ★ ★

ثمانية ..

خطا (مارك) إلى ردهة صغيرة فى ذلك المبنى العامر بمكاتب المحامين ..

كانت أسماء المحامين مكتوبة على لوحات من (البرونز) ، وغالبًا ما تسبقها حروف ونقاط على غرار (ج . ونستون باكنر) .. (ف . مكدونالد دورستون) ..

وصل إلى نهاية الردهة شاعرًا بالرهبة ..

ورح يتأمل المكاتب مفتوحة الأبواب .. زحام رهيب فى كل مكان ، ووجوه كالحة يبدو عليها الشقاء .. واضح أن كلهم محامو تعويضات ..

أخيرًا وجد بابًا من دون لافتة برونزية ، يحمل اسم (ريجى لاف - محامية) .. وكان مكتوبًا بحروف صغيرة ..

أدار المقبض وخطا إلى الداخل .. كانت غرفة الاستقبال فارغة هادئة ، وثمة موسيقا ناعمة تملأ المكان ، ومنضدة صغيرة عليها كومة من المجلات .. شاب بربطة عنق يجلس على مكتب سأله :

ـ « هل لى أن أساعدك ؟ »

ـ « نعم .. أنا بحاجة إلى محام .. »

ـ « أنت أصغر من أن تحتاج إلى محام .. ألا ترى هذا ؟ »

ـ « بلى .. لكن لدىّ مشكلة .. من أنت ؟ »

ـ « أنا سكرتيرها .. وكاتب محام كذلك .. (كلينت فان هوزر) .. سأخبرها أنك هنا .. »

كان الصبى عصبيًا ، وراح يتساءل : أية محامية هذه؟ قرر أن يجرّب حظه هنا .. من الواضح أنها بحاجة إلى عملاء ، ولديها الوقت

لتعينه .. إن فكرة امرأة محامية لتروق له لأنه رأى مثلها فى حلقات (قانون لوس أنجليس) التلفزيونية .. وكانت بارعة بحق ..

دخل (كلينت) إلى (ريجى لاف) التى كانت تتكلم فى الهاتف .. بالواقع كانت تصغى أكثر منها تتكلم .. أشار لها الإشارة المعتادة التى تعنى أن هناك من ينتظر بالخارج ..

كانت فى سن الثانية والخمسين ، مارست المحاماة لمدة خمسة أعوام .. لها شعر قصير جدًا رمادى اللون ، وقامة متوسطة ، وتضع عوينات أنيقة ..

وضعت السماعة أخيرًا ، وقالت :

ـ « ماذا هناك ؟ »

ـ « ثمة زبون جديد لك .. »

قالت :

- « لست بحاجة إلى زبائن .. أنا بحاجة إلى زبائن يدفعون .. ما اسمه ؟ »

ابتسم ، وقال :

- « (مارك سواى) .. إنه مجرد صبى فى العاشرة من العمر .. وهو وحده .. »

- « دعه يدخل .. بعد خمس عشرة دقيقة قاطعنا وأنقذنى .. »

خرج (كلينت) وسمح لـ (مارك) بالدخول إلى المكتب ..

أول ما لاحظه هو شعرها .. كان رماديًا قصيرًا جدًا ، ولم تكن عجوزًا لكنها لم تكن شابة .. وكان ثوبها أسود أنيقًا ..

دعته إلى الجلوس ، فجلس على حافة المقعد خائفًا .. لقد كذب على أمه ، وكذب على رجال

الشرطة ، وغدًا يكذب على رجال المباحث الفيدرالية .. ربما حان الوقت لبعض الصدق على سبيل التغيير . لكن فكرة الكلام أمام غريب أثارت ذعره ..

- « كم سنك يا (مارك) ؟ »

- « أحد عشر عامًا يا سيدتى .. »

- « نادنى (ريجى) .. أنا عجوز بما يكفى كى أكون جدتك ، لكنى أوثر أن تنادينى بـ (ريجى) .. »

كان واضحًا أنها تستمتع بهذه المحادثة مع هذا الصبى الذى يحتاج إلى محام ، ولكن (مارك) كان يعرف أنها ستفقد ابتسامتها إذا حكى قصته ..

- « لو حكيت لك شيئًا .. هل تقولينه لسواى ؟ »

- « أبدًا .. إنها مسألة ثقة مهنية .. ما تقوله هو سرّ .. »

- « أبدًا ؟ »

- « أبدًا .. إن المحامى كالطبيب والقس .. كلاهما لا يكشف سرًا .. »

نظر لها دون أن يرمش دقيقة ، وأقنع نفسه بأنها جديرة بالثقة .. سألها :

- « كم أتعابك ؟ »

- « لا أعرف أى نوع من القضايا هذه .. »

- « حسن .. هناك شخص ميت وشخص فى المستشفى .. والشرطة والمباحث الفيدرالية يريدون استجوابى .. »

- « أعتقد أنه ليس معك الكثير لتمنحه لى يا (مارك) .. »

- « نعم .. »

- « المفترض أن تدفع لى عربونًا .. وبدفعه أكون محاميتك .. هل معك دولار واحد ؟ »

أخرج دولارًا من جيبه وناولها إياه ..

لم تكن فى حاجة إلى هذا الدولار لكنها تقاليد المهنة ، وكانت تعرف أن هذا فى الغالب آخر مبلغ تتقاضاه منه .. هذا سيجعله فخورًا لأنه استأجر محاميًا .. وضعت الدولار أمامها وقالت :

- « الآن أنت عميلى وأنا محاميتك .. فلنسمع قصتك .. »

أخرج من جيبه ورقة من جريدة .. الجريدة التى حصل عليها من المستشفى والتى تحكى عن الحادث ، وجعلها تقرؤها ، ثم قال بعد ما فرغت :

- « يقال إن الجثة وجدها صبيان .. هذان أنا وأخى .. »

ـ « لكنها ليست جريمة أن تجد جثة .. »

ـ « أعرف .. لكن القصة لم تنته .. »

وتنفس بعمق ، وراح يحكى لها القصة بالتفصيل .. بعد خمس عشرة دقيقة دق (كلينت) الباب ، لكن (ريجى) قطبت فى وجهه فاختفى ..

كانت تدون كل شىء فى مفكرتها .. ثم عادت تستعيد القصة ثانية ، وفى هذه المرة كانت لديها أسئلة تسدّ بها بعض ثغرات القصة .. لقد ولت ابتسامتها ، وراح جو الثرثرة الحميم بين الجدة وحفيدها ، ليحل محلها أسئلة دقيقة محددة ..

الشىء الوحيد الذى استبقاه (مارك) لنفسه كان مكان الجثة .. وقد فهمت (ريجى) هذا ببراعة ، لكنها أجلت السؤال إلى ما بعد .. كان

الصبى صادقًا .. إن كل هذه التفاصيل تدلّ على صدقه ، لا على خيالات من عقل جامح .. ثم إنه خائف حتى الموت .. فى النهاية سألته :

ـ « هل قلت لى كل شىء ؟ »

ـ « لا .. لكن تقريبًا .. »

ـ « وهل كذبت علىّ ؟ »

ـ « لا .. »

ـ « هل تريد إخبارى عن موضع الجثة ؟ »

ـ « وهل تريدين هذا منى ؟ » .

ـ « لست واثقة .. لكن لماذا تخشى أن تخبرنى ؟ »

ـ « أنا خائف أن يعرف الناس أننى أعرف .. لقد قال (رومى) إن عميله قد قتل الكثيرين ، وكان سيقتله لأنه يعرف .. إن الرجل من

(المافيا) .. ولو عرف بأمرى لجاء من أجلى .. وهذا يخيفنى .. »

كانت (ريجى) حائرة الآن .. إن مع الصبى حقًا ، ولو نصحته بأن يخبر المباحث الفيدرالية بما يعرف ، فلا أحد يضمن سلامته بعدها ..

ـ « لايوجد قانون يرغمه على الكلام .. ربما هو يعوق العدالة ، لكنه مجرد صبى على كل حال .. إنهم لايعرفون مايعرفه ، ولو لم يستطيعوا إثبات ظنونهم فهو آمن تمامًا .. »

ـ « لاتخبرنى بموضع الجثة يا (مارك) .. اتفقنا ؟ على الأقل الآن مالم أطلب منك ذلك .. فلنلق رجال المباحث الفيدرالية .. لن تقول شيئًا .. أنا من سيتكلم وأنت تصغى .. بعدها نقرر مانعمله .. »

ثم قالت إنها ستوصله إلى المستشفى بنفسها ، وسألته :

ـ « أين سيلقاك رجال المباحث الفيدرالية .. »

ـ « أظن فى المستشفى .. »

نظرت لساعتها ، ثم دست مفكرتين فى حقيبتها . فجأة بدأت تشعر بتوتر بينما (مارك) ينتظرها جوار الباب ..

* * *

تسعة ..

وجدت (ريجى) غرفة فارغة فى الطابق الثامن من المستشفى .. دخلت مع (مارك) متعجلة ، فهى قد تأخرت عن موعد المباحث الفيدرالية عشر دقائق .. قالت له :

ـ « ارفع قميصك .. »

ـ « ماذا ؟ »

ـ « ارفع قميصك .. »

قالتها مصرّة ، ففعل كما طلبت .. فتحت حقيبتها وأخرجت جهاز (كاسيت) أسود صغيرًا ، وبعض اللاصق الطبى وشرائط الفلكرو ..

راقبها (مارك) فى اهتمام .. يبدو واضحًا أنها

فعلت هذا كثيرًا .. ثبتت الجهاز إلى معدته بشرائط اللاصق ، ثم أحكمت التثبيت بالفلكرو ، وجعلته يعيد القميص إلى سرواله الجينز ..

ـ « وماذا لو فتشونى .. »

ـ « لن يفعلوا .. إنهم هنا ليتكلموا لا ليعتقلوا .. »

ـ « وماذا لو صدر منه صوت أزيز أو شىء يجعلهم يخرجون أسلحتهم ؟ »

قالت وهى تخرج من الغرفة ، بينما هو يركض وراءها محاولاً اللحاق بها :

ـ « لن تكون هناك أصوات ، وهم لا يطلقون الرصاص على الغلمان .. »

* * *

كان الطابق الثانى من مستشفى (سانت بيترز)



راقبها (مارك) فى اهتمام .. يبدو واضحًا أنها فعلت هذا كثيرًا .. ثبتت الجهاز إلى معدته بشرائط اللاصق ، ثم أحكمت التثبيت بالفلكرو ..

متهالكًا متسخًا لأنه أقدم من الثامن طبعًا ، وهرعت (ريجى) تبحث عن الغرفة (٢٨) ، وأمسكت بيد الصبى فى حزم وشجعته .. وعلى الباب ضغطت على زرّ التسجيل من فوق قميصه وسمحت له بالدخول ..

قرع الباب فسمع المقاعد تتحرك ، وقال صوت غير ودود : (ادخل) ..

كانت الغرفة ضيقة بها منضدة يجلس خلفها رجلان لا يبتسمان ، وسأله أحدهما ؟

ـ « لابد أنك (مارك) .. أين والدتك ؟ »

ـ « ومن أنتما ؟ »

قال أحدهما (والحقيقة أنهما كانا يبدوان ويلبسان كأنهما توءمان) ..

ـ « أنا (جيسون ماكتون) من المباحث الفيدرالية لـ (ممفيس) ، أما زميلى فهو (لارى

ترومـان) من المبـاحث الفيدراليـة لـ (نيـو أورليانز) .. هلا جلست ؟ »

جلس (مارك) بحذر ، وهو يخاف أن يتداعى الشـريط اللاصق فيسـقط جهـاز الكاسـيت .. سيقبضـان عليه ويقيدانـه بالأصفاد ، ولن يرى أمه ثانية ..

وضع (ترومان) الأوراق أمامه وهو يتنفس بعمق ، وقال :

ـ « نحن بحاجة إلى الكلام بضع دقـائق معك يا (مارك) .. »

ـ « إذن هل أستدعى أمى ؟ إنهـا فـى الطـابق التاسع مع أخى ؟ »

تبادل الرجلان النظرات ، ثم قال (ترومان) :

ـ « يمكنك أن تطلبها إذا أردت ، لكن لاداعى لهذا على الإطلاق .. »

ـ « وهل أحتاج إلى محام ؟ »

ـ « لن تحتاج إلى واحد .. إن هى إلا بضع أسئلة لا أكثر .. نحن مباحث فيدرالية ولسنا مـن الشرطة .. »

ـ « وهذا ما يخيفنى يا سيدى .. أعتقد أننى بحاجة إلى محام ، ليحمـى حقوقـى ومـا إلـى ذلك ... »

قال (ترومان) مبتسمًا :

ـ « إن المحامين يعطلون الأمـور .. إنهم يتقاضون مـالاً ، ثم يعوقون كل شىء .. أنـت صبى ذكى ولن تزيد الأمور على بضع أسئلة .. لقد قلت إنك وأخاك وجدتما (جيروم) قتيلاً فوق سيارته ، فهل هذه هى الحقيقة ؟ »

وكانت لهجته واضحة .. إنهمـا لا يعتبران هذه حقيقة ..

ـ « هل علىّ أن أجيب هذا السؤال ؟ »

ـ « طبعًا .. نحن المباحث الفيدرالية ، ونريد أن نعرف .. »

ـ « وماذا لو لم أجب ؟ »

ـ « أشياء كثيرة .. سنأخذك إلى مكتبنا ، ونوجه لك بعض الأسئلة الخشنة ، ولربما استدعينا أمك .. ستكون هناك متاعب كثيرة .. »

وتبادل الرجلان النظرات من جديد ، فهما قد بدءا على أرض مهتزة من اللحظة الأولى .. إن استجواب الأطفال فى غيبة الأبوين خطأ قانونى جسيم .. لكن ما أهمية ذلك ؟ إنه وحده هنا ، وما كانا ليجدا فرصة أفضل ..

ـ « هل تعرف معنى (تعطيل العدالة) ؟ إنها جريمة .. والشخص الذى يكتم شهادته قد يُتَّهم بتعطيل العدالة ويجد نفسه فى السجن .. »

هنا سأله (مارك) :

ـ « لو وجدت نفسك فى مكانى .. فهل تطلب محاميًا ؟ »

ـ « بالطبع لا .. لن أطلب محاميًا .. إن المحامين (وجع دماغ) .. وإن لم يكن لديك ما تخفيه فلا داعى لمحام .. »

كان قد بدأ يشتاط غضبًا ولم يدهش هذا (مارك) .. لقد تعلم من التلفزيون أن أحدهما يجب أن يكون حاد الطباع والآخر رقيقًا لطيف الحاشية .. هذه لعبة (الشرطى الطيب ـ الشرطى الشرس) .. الطيب يبتسم طيلة الوقت ويلوم زميلهِ لصالح (مارك) .. ثم يخرج (ماكتون) غاضبًا ، هنا يكون (مارك) مستعدًا لإفراغ كل أسراره على المنضدة أمام (ترومان) ..

قال (مارك) فى ثبات :

ـ « إننى آخذ التعديل الخامس(*) .. وأسألكم اتفاق (ميراندا) (**) .. »

زالت الابتسامة من على وجه (ترومان)، وهزّ رأسه وقال :

ـ « أخشى أنك تشاهد التلفزيون كثيرًا .. »

قال (مارك) وهو يتأهب للنهوض :

ـ « هل لى أن أذهب إلى الحمام ؟ »

ـ « بالتأكيد .. »

(*) التعديل الخامس فى الدستور الأمريكى .. يسمح للشاهد بألا يتكلم لو كانت شهادته تؤذيه شخصيًا، كما يمنع محاكمة الشخص مرتين بنفس الجريمة ..

(**) اتفاق (ميراندا) تم إدخاله فى القانون الأمريكى عام ١٩٦٦، وهو يرغم رجل الشرطة على أن يقول للمتهم : (كل ما ستنطق به قد يستخدم ضدك فى أثناء المحاكمة) و (من حقك أن تلزم الصمت) .. ولهذا فصمت المتهم فى غياب محاميه أمر مشروع ..

قالها (ترومان) وهو يخشى أن يكونا ضغطا على الصبى إلى حدّ إصابته بالإسهال، وجلس مع زميله وحدهما فى الغرفة ينتظران ..

★ ★ ★

بعد ربع ساعة انفتح الباب، وظهرت امرأة فى الخمسين من عمرها، فكاد أحد الرجلين ينهض لكنها أشارت له كى يجلس .. قال (ماكتون) :

ـ « لا يمكنك الدخول هنا .. إنها ... »

أخرجت من حقيبتها بطاقتين وضعت واحدة أمام كل منهما، وقالت :

ـ « لا أظن هذا .. أنا (ريجى لاف) محامية (مارك سواى) .. »

سألها (ماكتون) :

ـ « وأين (مارك) ؟ »

- « إنه فى مكان ما حسب التعديل الخامس .. هل لى أن أرى هويتيكما ؟ »

أخرج العميلان هويتيهما ، فتفحصتهما ودونت بعض الملاحظات ، ثم قالت :

- « هل حاولتما استجواب الصبى دون وجود أمه ؟ وهل طلب أن يستدعى محاميًا لكنكما رفضتما ؟ »

تبادل الرجلان النظرات .. من السهل أن يكذبا ما دام الصبى ليس هنا .. إنه مجرد غلام مذعور بينما هم المباحث الفيدرالية ذاتها .. ستصدقهما فى النهاية .. وقال (ترومان) :

- « بالطبع لا .. ولو قال الصبى عكس هذا فهو كاذب .. »

فى بطء فتحت (ريجى) حقيبتها وأخرجت (الكاسيت) الأسود ووضعته على المائدة .. نظر

له العميلان فى هلع وانكمشا .. قالت بابتسامة شريرة :

- « الآن نحن نعرف من الكاذب .. »

حك (ترومان) أرنبة أنفه فى صمت ، فقالت :

- « كله على الشريط يا شباب .. لقد حاولتما استجواب صبى فى غياب أمه .. هددتماه بالسجن والاحتجاز له ولأمه .. سألكما إن كان يحتاج إلى محام لكنكما قلتما : لا .. ووصفتما المحامين بأنهم (وجع دماغ) .. »

نظر (ماكتون) إلى الشريط .. فكر أن يثب ويأخذه ويمزقه إلى أجزاء ، لكنه بشكل ما خمن أن المرأة لديها نسخة أخرى منه .. كان بوسع هذا الشريط أن يكلفه مهنته .. ربما النقل أو الإيقاف .. إن هذه المرأة تعرف العقوبات الصارمة فى جهاز المباحث الفيدرالية ..

ـ « أنت ربطت جهاز تسجيل بجسد الصبى ؟ »

ـ « ولم لا ؟ أنتم المباحث الفيدرالية تستعملون أجهزة التسجيل طيلة الوقت .. لاجُرم فى هذا .. »

قال (ترومان) وهو يطرقع أصابعه :

ـ « انظرى يا مس (لاف) .. نحن آسفان .. لقد اندفعنا أكثر من اللازم .. نعترف بهذا ونعتذر عنه .. لكننا حقًا يائسان ونرغب فى الكلام مع موكلك .. أنت تعرفين من هو (مولدانو) ومن هو (كليف) ؟ »

قالت :

ـ « سأفكر فى الأمر ، وسيكون لقاؤنا فى مكتبى فى الثالثة بعد الظهر .. سأبقى هذا الشريط معى ولسوف يكون سرنا الصغير .. اتفقنا ؟ »

ـ « هل هذا ابتزاز ؟ »

ـ « إنه كذلك بالضبط .. يمكنكم أن تشكونى .. »

واتجهت إلى الباب ، هنا صاح (ماكتون) :

ـ « لحظة .. ثمة رجل يحبّ أن يكون معنا .. إنه (روى فولتريج) الذى ... »

ـ « (فولتريج) فى (ممفيس) ؟ بالطبع فليأت معكما .. سيكون هذا شرفًا لى .. »

* * *

عشــــرة ..

وصل (فولتريج) و (ماكتون) و (ترومان) إلى غرفة الاستقبال فى مكتب (ريجى لاف) فى تمام الثالثة .. قابلهما (كلينت) وقدّم لهما الشاى والقهوة .. قال (فولتريج) إنه المدعى العام للولايات المتحدة فى جنوب (لويزيانا) وإنه لايتوقع أن يتأخر .. وكان هذا خطأ منه ..

لقد انتظر نحو خمس وأربعين دقيقة وهو يغلى، بينما العميلان يطالعان المجلات .. وفى كل مرة ينبح فى (كلينت) ليكون الردّ أن (ريجى) على الهاتف مع عميل مهم .. كأن ما جاء (فولتريج) لأجله أمر تافه ..

تمنى أن ينصرف لكنه لم يستطع، وكانت

هذه من المرات النادرة التى ابتلع فيها الإهانة وسكت ..

فى النهاية دعاهم (كلينت) إلى غرفة صغيرة تتناثر الكتب على رفوفها .. وكان عميلا المباحث الفيدرالية قد عرفا أن (ريجى) تمارس المهنة منذ أربعة أعوام .. لقد خدعتهما امرأة عمرها فى المهنة أربعة أعوام !

قال (ترومان) بلا تردد :

- « خذ الحذر يا (روى) من هذه المرأة .. لربما تسجل ما نقول .. »

- « ما الذى جعلك تفكر فى هذا ؟! »

- « إن محاميى (ممفيس) هؤلاء يسجلون كل شىء .. »

فلم يكن الرجلان قد جسرا على إخبار (فولتريج) بما كان مع المحامية ..

انفتح الباب ، ودخلت (ريجى) وصافحت الجميع ، وقالت :

ـ « آسفة لتأخيرى .. هل يضايقكما أن أسجل هذا المؤتمر ؟ »

ـ « وأخرجت جهاز تسجيل صغيرًا من الدرج وضعته على المنضدة .. تظاهر (فولتريج) بالمرح ، على حين فكر عميلا المباحث فى أنه لطيف منها أن تستأذن هذه المرة .. وابتسم الجميع لجهاز التسجيل .. »

انحنى (فولتريج) للأمام ، وقد بدا واضحًا أنه من سيدير الكلام :

ـ « أين عميلك ؟ »

ـ « فى المستشفى .. الأطباء يريدون أن يكون مع أخيه .. »

ـ « هل يمكننا أن نقابله ؟ نحن نعرف جيدًا

من قتل عضو مجلس الشيوخ .. ولدينا المشتبه فيه ، ولدينا مسدسه .. لكننى بصراحة لست مستعدًا لمحاكمة من دون جثة .. »

وابتسم لها فى دفء .. لقد قضى ساعات طويلة فى المحاكم ويعرف كيف يبدو مخلصًا ..

أضاف (ماكتون) :

ـ « إن الصبى كان فى العربة .. بصماته فى كل مكان داخلها .. »

وضعت الأوراق أمامها وقالت :

ـ « حسن .. أحسب أن السؤال الكبير هو : كيف حصلتم على بصمات الصبى ؟ »

قال (فولتريج) :

ـ « بسيط جدًا .. أخذنا إحدى علب المياه الغازية التى شربها فى المستشفى .. »

ـ « إذن أنتم اعتديتم على حرية وخصوصية طفل ، من أجل جريمة هى رؤية انتحار .. »

ـ « وهل رأى انتحارًا ؟ »

ـ « لا أستطيع أن أخبرك .. »

كان (فولتريج) يعرف أن أفضل محامى الدفاع هم من يجيدون الابتعاد عن القضية الأساسية .. إنهم يلقون الصخور فوق التهمة الأساسية ليخفوا تورط عملائهم الواضح ، ويصرخون من أجل انتهاك الإجراءات .. حقًا لايوجد خطأ فى انتزاع البصمات من على علبة .. هذا عمل شرطة جيد .. لكن من فم الدفاع يغدو الأمر انتهاكًا آثمًا للخصوصية .. وبرغم هذا اعترف لنفسه أنها بارعة ..

قالت وهى تقلب أوراقها :

ـ « لنلتق هنا غدًا .. »

ـ « لكننا متعجلون للغاية .. »

ـ « وأنا لست كذلك .. أنا بحاجة لأن أهضم كل هذا ، وأتشاور مع موكلى .. »

كان هذا أقصى ما يمكن الحصول عليه ، لهذا نهضوا وبدءوا يجمعون أوراقهم وأقلامهم .. إن ما قالته لم يكن بصيغة اقتراح بل بصيغة أمر ..

★ ★ ★

أحد عشر ..

اتجه (بارى مولدانو) إلى ناصية (بوربون)، وهو ينظر يمينًا ويسارًا كى يتأكد من أن أحدًا لا يراقبه .. انحرف إلى اليمين ثم إلى اليسار، قبل أن يدخل إلى (راندى) .. لو كانوا يراقبونه الآن فهم رجال خارقون ..

كان (راندى) مطعمًا عتيق الطراز فى (نيو أورليانز) تديره الأسرة .. وكان مظلمًا مزدحمًا .. صعد فى الدرج إلى الطابق الثانى وحيا بيده أحد البلطجية هناك، ثم دلف إلى غرفة خاصة بها أربع مناضد .. ثلاث خالية والرابعة جلس إليها شخص يقرأ فى ضوء شمعة ..

دنا فى تهيب، فلوح له الرجل ودعاه كى يجلس ..

كان (جونى سولارى) هو خال (بارى)، وكبير الأسرة .. وكان يملك عدة ملاه ومطاعم فى (نيو أورليانز)، وها هو ذا جالس كعادته يقرأ التقارير المالية وينتظر العشاء ..

انحنى (بارى) عالمًا أنه غير مرغوب فيه فى هذه اللحظة .. لقد سافر (جرونك) صديقه إلى (ممفيس) وهو يراقب الصبى الآن .. لقد استأجر الصبى محاميًا وهو يرفض الكلام مع المباحث الفيدرالية .. هذه آخر الأخبار ..

قال (جونى):

- « لا أصدق أنك بهذا الغباء يا (بارى) .. هل تدرك مدى حماقتك ؟ »

- « ليكن .. أنا أحمق .. لكن علينا أن نرسل رجلين إلى (ممفيس) الآن .. فلنرسل (بونو) وربما (بيرينى) كذلك .. »

ـ « هل تريد أن تقتل الطفل ؟ »

ـ « ربما .. لكننا سنعرف ما يعرفه أولاً ، ولو كان أكثر من اللازم سنقتله .. »

ـ « إننى مندهش لصلة الدم بيننا يا (بـارى) .. أنت أحمق تمامًا .. أرسل (بيرينى) و (بونو) لكن لا تأت بحركات غبية .. هل تفهم هذا ؟ »

ـ « نعم يا سيدى .. »

لوّح بيده ، وقال :

ـ « فلتذهب الآن .. »

★ ★ ★

كانت الصور فى الصفحة الأولـى من جريدة (ممفيس برس) ، وكـانت مـأخوذة مـن ملفـات المدرسة منذ عـام .. كـان (مـارك) فـى الصـف الرابع و (ريكى) فى الصف الأول وقتها .. وأسفل

الصفحة كان اسماهما ، وقصة تحكى عن انتحار (جيروم كليفورد) وما حدث بعده ..

أحضرتها له الممرضة الحسناء وهـو جـالس فـى قسم الأمـراض النفسية ، وقـالت لـه وهـى تناوله الجريدة :

ـ « أنت مشـهور الآن .. أريـد توقيعك على الأوتوجراف حين يتسع وقتك .. »

نظر إلى وجهه على الصفحة الأولى ، وصاح :

ـ « سحقًا ! »

كان هذا غير عادل .. إنـه مجرد صبـى يهتـم بشئونه الخاصة ، وفجـأة صـارت صورتـه علـى الصفحات الأولى والأصابع تشير إليـه .. ومتـى وجدوا الوقت كى يفتشوا فى ملفـات المدرسـة ؟ أليس من حقه بعض الخصوصية ؟

كان الوقت فجرًا ، والمدينـة تنتعـش ببطء ..

وقف فى النافذة يرمق المدينة النائمة وشعر بالوحدة .. بعد ساعة سيقرأ مليون شخص قصته وهم يشربون القهوة ويأكلون الخبز المحمص ..

من غير العدل أن يجد صبى نفسه فى هذا الموقف دون أبوين يحتمى خلفهما .. كان بحاجة إلى درع يحميه من الشرطة والفيدراليين و ـ لاسمح الله ـ المافيا ..

كان يعرف المافيا من التلفزيون جيدًا ، ويذكر عبارة قيلت فى فيلم هى « المافيا لاتنسى أبدًا » ، وقد تكررت حتى مات بطل الفيلم فى النهاية برصاصهم ..

خرج إلى الردهة ، وقرر أن ينزل إلى الكافتريا ليشرب شيئًا ما ..

اتجه إلى المصعد .. كان خاليًا فى السادسة

صباحًا .. وفى الطابق الثامن انفتح الباب ودخل رجل يلبس معطفًا أبيض ، لم ينظر له (مارك) .. انغلق الباب فإذا بالرجل يمسك بـ (مارك) ويثبته إلى جدار المصعد .. ثم ركع على ركبته والتقط شيئًا من جيبه .. كان له وجه مخيف وكان يلهث :

ـ « أصغ لى يا (مارك سواى) .. »

ثم دوّى صوت (كليك) وظهر نصل مطواة فى الصورة ..

ـ « لا أعرف ما قاله (كليفورد) لك ، لكن إذا كررته أمام أحد ـ حتى محاميك ـ فسوف أقتلك وأقتل أمك .. إن أخاك فى غرفة (٩٤٣) .. أعرف أين تسكن ورأيت مدرستك .. هل تفهمنى ؟ »

توقف المصعد فنهض الرجل ، وخبأ المطواة ..

ظل الباب مفتوحًا عشر ثوان ثم انغلق .. هنا أخرج الرجل المطواة من جديد وحركها أمام أنفه ..

ـ « سأشق أحشاءك .. هل تفهمنى ؟ »

هزّ رأسه أن نعم نعم .. وتحجرت الدموع فى عينيه ..

فى الطابق الخامس انفتح الباب فدخلت ممرضتان ، وتنفس (مارك) الصعداء .. وفى الطابق الثالث دخل ثلاثة رجال آخرون .. وبشكل ما اختفى الرجل ..

ـ « هل أنت على ما يرام ؟ »

سألته إحدى الممرضات وهى ترى وجهه الغارق فى العرق والدموع فى عينيه ، فهزّ رأسه بمعنى أنه بخير ..

غادر المصعد فى الطابق الثانى ، واسترخى جوار خرطوم حريق بينما الشمس تلتمع فوق المدينة ..

★ ★ ★

اثنا عشر ..

فى مكتبها جلست (ريجى لاف) تطالع الأوراق التى جاءت بالبريد من (بحوث المطبوعات) ، وهى هيئة تصنف مائتى جريدة يومية ، وترسل لك كل ما نشر عن أى موضوع تريد .. وهى خدمة لمن يدفعون .. ولم تكن راغبة فى الدفع لكنها كانت تريد معرفة كل شىء عن قضية (بويت) و (مولدانو) ..

كان (بويت) ديموقراطيًا من (نيو أورليانز) وصل إلى مجلس الشيوخ ، وقاد عدة حملات ناجحة ضد التلوث ، ومن أجل حماية البيئة .. كانت شركات الكيماويات والبترول تمقته بعنف ، خاصة حين بدأ فى الأعوام الستة الأخيرة يحاول

إثبات علاقة تلك الشركات الوثيقة بالمافيا فى (نيو أورليانز) ..

وفى ليلة اختفائه انصرف متأخرًا وحده من اجتماع عاصف، ليقود سيارته إلى بيته .. وكان مولعًا بتعلم اللغات، لذا كان يقتنص أية فرصة ليكون وحيدًا فى سيارته يصغى لشرائط تعليم الروسية ..

وعند ظهر اليوم التالى، تم اعتباره مفقودًا، وشك كثيرون فى وجود جريمة، لكن أحدًا لم يجد جثته .. فجأة ظهر إلى الوجود اسم (بارى مولدانو) وارتبط باختفائه .. ثم دخل (روى فولتريج) إلى المسرح ليعلن أمام أجهزة التصوير إدانته لـ (بارى مولدانو) .. لم يتكلم عن الجثة لكنه راح يؤكد أن بقايا السناتور سيتم العثور عليها فى الوقت المناسب ..

وحين وصل (مارك) كفت عن القراءة ..

★ ★ ★

ربتت على ظهر الطفل الباكى، وقالت بعد ما سمعت قصته :

ـ « سأجرى بعض المكالمات .. سأطلب من مدير المستشفى أن يضع حراسة حول غرفة (ريكى) .. »

ـ « لكن من هددنى سيلاحظ هذا .. »

ـ « لو لاحظ فلن يعرف أنك أخبرتنى .. »

كان صبيًا صلبًا تربى فى الشوارع، حكيمًا بما يفوق عمره، وكانت معجبة بشجاعته حقًا ..

ـ « هل تظنين أن ماما و (ريكى) سيكونان بخير ؟ »

ـ « طبعًا يا (مـارك) .. إن هـؤلاء القـوم محترفون ، ولـن يفعلوا شيئًا غبيًّا .. سيقون قريبًا مختبئين يراقبوننا .. »

ـ « هؤلاء القوم لا (يبلفون) يـا (ريجـى) .. لقد رأيت السكين .. إنهم فى (ممفيس) لغرض واحد هو أن يخيفونى حتى الموت ؛ وقد نجحوا فى هذا .. إننى لن أتكلم .. »

★ ★ ★

كـان المطر مازال ينهمر فى الشـارع الثـالث ، والسمـاء رماديـة بينمـا الطرقـات مبتلـة زلقـة ، وانحرفت (ريجـى) نحـو شـارع (ماديسـون) وهـى تمسك بيد (مـارك) وتقتـاده عبر زحـام السكرتيرات ساعة الغداء ..

رآهما (جاك نانس) حيث جلس فى سيارته (المـازدا) ، فرفـع السمـاعة وقال بضعة أشياء

لمساعده كى يواصل اقتفاء أثر المحامية والصبى ، ثم أغلق الجهاز واجتاز مدخل المبنـى .. وجـد اللافتـة التى تقول (ريجى لاف ـ محامية) ..

مدّ يده لمقبض الباب فوجـده ـ لـدهشته ـ ينفتـح .. أثـار غيظـه هذا لأنـه كـان يتوقـع بابًـا موصـدًا يفتحـه ببراعـة ، ويدخـل ليعبـث فـى الملفـات سـاعة غداء كـل المحـامين فـى هـذه البنايـة .. إن أغلـب مكـاتب المحامـاة الصغيرة لاتعبأ بالأمـن على الإطـلاق .. وكلهـا تفتقـر إلـى شيئين : إجراءات الأمن والمال ..

فوجئ بـ (كلينت) يسأله عمـا يريد ، فقال بصوت متعب كمن قضى يومًا حافلاً :

ـ « أنا صحفى .. أبحث عن (ريجى لاف) .. »

ـ « هى ليست هنا .. هل مُعك بطاقة ؟ »

ـ « هل تعنى تلك الأشياء الصغيرة التى تبعثرونها معشر المحامين فى كل مكان ؟ لا يا صديقى .. أنا صحفى .. »

واتجه إلى الباب وخرج ..

ليست زيارة مثمرة ، لكنه عرف تفاصيل المكتب .. وستكون زيارته التالية أطول ..

★ ★ ★

ثلاثة عشر ..

فى الطابق الرابع من فندق (راديسون) الذى لا يبعد سوى خمسة مربعات عن مستشفى (سانت بيتر) ، كان (بول جرونك) يلعب لعبة ورق مملة مع (ماك بونو) ، والأخير رجل (مولدانو) من (نيو أورليانز) .. لعبا فترة طويلة لكن أحدهما لم يكن مهتمًا بهذه اللعبة ..

كان حذاءا (جرونك) على الفراش ، وقميصه مفتوحًا ، ودخان التبغ معلقًا فى هواء الغرفة .. إن (جرونك) صديق طفولة (مولدانو) الموثوق به ، وقد شارك (الموس) فى عمليات كثيرة من قبل .. لم يكن يعرف أين دفن (بويت) وما كان ليسأل ، وقد طلب منه (مولدانو) أن يتجه إلى (ممفيس) ، لهذا جاء

برغم أنه يشعر بالملل ، وهو باق فى الفندق يلعب الورق ويدخن وينتظر تحركات صبى عمره أحد عشر عامًا ..

وعبر الغرفة كان (جاك نانس) يقف فى النافذة ، ينتظر مكالمة شريكه من المستشفى يخبره بآخر تحركات (مارك سواى) ..

لقد قرر وضع أداة تنصت فى الغرفة (٩٤٣) بالمستشفى ، كما أدرك أن وضع مثلها فى مكتب المحامية سيكون سهلاً وهينًا .. إن العميل ـ ذلك المهرج الذى يدعو نفسه (الموس) ـ يدفع مالاً طيبًا جدًّا على كل حال ..

وكان يسمع الحديث الهامس بين (جرونك) و (بونو) فيدرك أن الأمر أخطر مما يظن .. هؤلاء القوم خطرون فعلاً ..

وتأمل (جرونك) .. برغم فظاظته وشكله

(الشوارعى) ، فمن الواضح أنه رجل صبور .. هذا يناسبه على كل حال لأن القتلة يجب أن يكونوا صبورين باردين ..

* * *

ركب (مارك) بجوار (ريجى) فى سيارتها الرياضية .. لم تكن سيارة جديدة لكنها بحال طيبة ، ولم يكن قد ركب سيارة رياضية من قبل ، وقالت (ريجى) إنها تحب أن تقود بسرعة ، وكان هذا يناسبه طبعًا ..

طيلة الطريق راح يفكر فى الطعام الذى ستقدمه له أم (ريجى) .. كانت (ريجى) تقتاده إلى دارها ، وهو إجراء طالما فعلته مع الأطفال عديمى الأهلية وضحايا العنف ..

هو يفكر فى الطعام ، بينما هى تتأكد من أن أحدًا لا يتبعها ..

كانت قد اتصلت بـ (ماكتون) ؛ وطلبت أن يضع بعض رجاله فى المستشفى ليحموا الأم و (ريكى) ، وقد راق هذا لـ (ماكتون) كثيرًا .. الآن تتم دعوتهم بشكل رسمى .. والحقيقة أن العديدين من عملاء المباحث الفيدرالية كانوا فى المستشفى منذ زمن .. لكن (ريجى) لم تعرف هذا ..

دخلت السيارة إلى شارع جانبى به أشجار بلوط ضخمة ومنازل قديمة .. فسألها :

ـ « هل تأخذين عملاءك لبيتك غالبًا ؟ »

ـ « نعم ! إنهم فى الغالب أطفال من بيوت ممزقة .. لهذا أشعر بالأسف لهم .. أنت بالنسبة لهم محظوظ ، فلك أم طيبة تحبك كثيرًا .. »

قال فى حسرة :

ـ « ليتنا تركنا (جيروم) ينتحر حين رأينا سيارته .. »

توقفت أمام منزل من طابقين تحيط به الزهور والنباتات المتسلقة .. ودخلا إلى بيت تفوح رائحة الطعام الشهى فى هوائه ، حتى كاد يموت جوعًا ..

خرجت للقائهما امرأة صغيرة الحجم رمادية الشعر ، فقالت (ريجى) :

ـ « هذا (مارك سواى) يا أماه .. »

قالت العجوز :

ـ « لطيف أن ألقاك يا (مارك) .. تعال واجلس هنا حتى أعدّ ما تشربه .. »

نزعت (ريجى) حذاءيها ، ثم هزّت شعرها وانتزعت القرطين ، وقالت :

ـ « إن (مارك) يأكل أكل المستشفى منذ ثلاثة أيام يا أماه .. فهلا قلت له ماذا أعددت اليوم ؟ »

فتحت العجوز الفرن ، فتصاعدت رائحة اللحم مع الطماطم والجبن .. وأخرجت صينية ، وقطعت قطعة كبيرة من اللحم وضعتها مع الخبز أمامه .. وذهبت (ريجى) لتبدّل ثيابها ، فسألته العجوز وهى تغلق الفرن :

ـ « ماذا رأيت يا بنى مع أخيك ؟ هلم ! ستتكلم .. كل الأولاد الآخرين يتكلمون ! »

كان فى الساعات الأخيرة قد تعلم الكثير عن فن الاستجوابات .. أجب عن السؤال بسؤال آخر كى تشتت ذهن من يسألك ، فسأل :

ـ « هل هى تجلب أولادًا آخرين ؟ »

ـ « حوالى اثنين فى الشهر .. أحيانًا يمضون

أسابيع عندنا .. تفعل هذا حين تريد أن يأكلوا وجبة طيبة .. »

راح يأكل فى نهم شديد ، وقال :

ـ « رائعة .. بالفعل رائعة ! »

لم يكن ذا خبرة بالـ (لازانيا) ، لكن ما يأكله كان رائعًا بحق ..

وجاءت (ريجى) .. هنا دق جرس الهاتف فأنصتت بضع دقائق ، ثم أعلنت أنها سترحل لأن عميلاً لها فى مشكلة ، وغادرت المكان تاركة العجوز تثرثر مع (مارك) .. تحكى له أنها من أصل إيطالى ، وإنها تعلمت عمل الـ (لازانيا) لأبيها منذ كان عمرها عشر سنوات ..

وفى المساء عادت (ريجى) فوجدتهما جالسين على الأعشاب خارج البيت ..

کانت الأم ترشف بقايا القهوة وتربت على رأسه ، بينما كان هو مثنيًا على نفسه ، ورأسه يستريح على حجرها .. وقد غاب فى سبات عميق ..

سألتها همسًا :

ـ « منذ متى نام ؟ »

ـ « منذ ساعة .. إنه طفل لطيف .. »

ـ « سأتصل بالمستشفى لأخبر أمه أنه هنا .. »

ـ « لقد أكل حتى امتلأ .. سأعد له إفطارًا شهيًا فى الصباح .. »

★ ★ ★



وفى المساء عادت (ريجى) فوجدتهما جالسين على الأعشاب خارج البيت .. كانت الأم ترشف بقايا القهوة وتربت على رأسه ..

أربعـــة عشر ..

لم يكـن (فولـتريج) ممـن يهـابون العمـل الشاق .. كـانت هذه طبيعة فيه منذ أدرك فـى مدرسة القانون أنـه ليس ذكيًا ، وأن عليـه إذا أراد النجاح أن يعمل أكثر ..

أرهق نفسـه فـى الدراسة ، وانتخبوه رئيسًا للطلاب فـى المدرسة .. كـانت هذه بداية تحولـه إلى (حيوان سياسى) ، برغم أن أكثر الطلاب لم يكونـوا يعرفـون بوجـود هـذا المنصب أصـلاً - رئيس الطلاب - ولم يكونوا يبالون به ..

ثم بدأ نجمه يعلو فـى الحزب الجمهـورى ، وتعلّم كيف يلعب اللعبة ، وتزوج سيدة لم يحبها ولم تحبه ، لكنهـا أضفت احترامًا على صورتـه الاجتماعية ..

كان يفضل المكتب على البيت ، وناسب هذا زوجتـه التى لم تكن تحبه ، لكنها كـانت تعشق راتبه ..

فى هذه القضية بالذات كـان يرى أن القانون واضح تمامًا : كل مواطن مطـالب بالشهادة .. ولا يتم إعفاء مواطن من هذا الواجب لأنه خـائف على نفسه أو سلامة أسرته ..

هذا هو القانون .. كتب على الحجر بحروف سوداء غليظـة ، ولا توجد استثناءات أو ثغرات يعبر منها الأطفال الصغار الخائفون .. إن دراسته لحالات مماثلة تؤكد له أن الصبى سيتكلم حتمًا .. سيقومون بترتيب جلسـة لسـماع أقوالـه أمـام المحلفين .. فـى الغـالب سيفزعه هذا ، وسيتكلم كما لم يتكلم قط ..

كان (فولتريج) يحب أن يقال عنه إنه متفان

فى عمله .. رجلِ لايخشى ساعات العمل الطويلة .. رجل أسرة لايرى أطفاله .. إنه محام لعميل واحد هو شعب الولايات المتحدة الأمريكية ، ولسوف يهزم المافيا ..

قال (ترومان) عميل المباحث الفيدرالية :

- « ثمة نقطة مهمة .. إن (جرونك) هنا فى (ممفيس) ، وكلانا يعرف أنه قاتل ، وأنه ليس هنا لزيارة قبر (إلفيس بريسلى) .. لقد أرسله (مولدانو) .. لهذا أرى أن نشرح لقاضى محكمة الأحداث أن الطفل فى خطر ، وأن من الخير له أن يكون فى الحجز لحمايته .. »

- « أنا أحب هذا .. »

- « إن فكرة الحجز ستفزع الصبى كالجحيم ، ولسوف ينهار ويتكلم .. ويتكلم .. وإلا اتهم بازدراء المحكمة .. »

ابتسم (فولتريج) ابتسامة شيطانية ..

كان يحب هذه اللحظات حين تهوى كل قوة الحكومة الفيدرالية بسرعة ، على رأس أشخاص ضئيلى الحجم لايرتابون فى شىء .. كل هذا بمكالمة واحدة ..

★ ★ ★

فى الوقت ذاته كانت (ريجى) عاجزة تمامًا عن النوم .. إنه منتصف الليل لكنها تقرأ كتابًا فى غرفتها بالطابق الثانى ، وتشرب الشاى .. كان (كلينت) قد وجد لها هذا الكتاب واسمه (الشهود الممتنعون) ..

كان الأمر واضحًا تمامًا : كل شاهد عليه أن يقول مايعرفه ، مهما كان مذعورًا .. لقد ذكرت المافيا بالاسم فى مواضع عديدة من الكتاب .. إنها قد هددت الشهود ، وأثارت ذعر زوجاتهم

وأطفالهم ، إلا أن المحكمة العليا قالت أكثر من مرة إن هذا لايهم .. يجب أن يتكلم الشاهد ..

يمكن لـ (فولتريج) تقديم طلب سماع شهادة أمام المحلفين فى (نيو أورليانز) ، وبالتأكيد سيأمر القاضى الصبى بالإجابة ، فإن رفض لكان غضب المحكمة عنيفًا .. إن القضاة يكرهون أن تُعصى أوامرهم ..

والمشكلة أن هناك أماكن كثيرة يمكن أن يُسجن فيها طفل عمره أحد عشر عامًا ، على خلاف مع النظام القضائى ..

لسوف يأمره القاضى بالإجابة .. عندئذ سينظر (مارك) لها ، ولهذا لاتستطيع النوم .. لو أمرته بالكلام فهذا يعنى تهديد سلامته وأمه وأخاه .. إن هذه الأسرة لن تفيد من برنامج

حماية الشهود ، لأن (ريكى) مريض وغير قابل للنقل ؛ ولسوف يبقى طويلاً فى المستشفى ..

حقًا إن الأطفال عملاء مزعجون .. لقد أمسكت بأيد كثيرة صغيرة فى المحكمة وتعرف ماتقول .. إنهم بحاجة إلى من يحميهم ويمسح دموعهم ويتخذ لهم القرار .. والويل لها لو كان القرار خاطئًا ..

إن الحل الوحيد هو أن يكذب (مارك) .. نعم .. يكذب كذبة كبيرة .. يقول إن (كليفورد) لم يقل شيئًا ، وإنه كان مجنونًا ..

ترى من سيعرف الحقيقة وقتها ؟

★ ★ ★

فى الرابعة صباحًا اتجهت سيارة (فورد) بيضاء ، تم نزع لوحاتها مؤقتًا ، إلى (تاكرويل

ستيتس) .. مشت إلى الشارع الشرقى بين المقطورات .. وكانت الطرقات مهجورة تمامًا ، والكل نائمًا فى سلام ..

توقفت عند رقم (٧) ثم توقف المحرك بدوره ..

بعد دقيقة ظهر رجل يرتدى ثياب شرطى من (ممفيس) .. على الأقل هى تشبهها فى الرابعة صباحًا ..

كان يحمل صندوقًا كبيرًا من الورق المقوى ، واتجه إلى الباب رقم (١٧) .. لاصوت من الجيران .. لذا فتح الباب ووضع إنذاره الصغير ثم ابتعد .. لقد جاء ورحل دون أثر ..

وبعد ثلاثين دقيقة انفجر الصندوق .. كان انفجارًا هادئًا منظمًا ، فلم تهتز الأرض ولم تتناثر الشظايا .. فقط اندلعت النيران الحمراء

والصفراء مع الدخان الأسود ، وما إن استطاع الجيران طلب رقم (٩١١) حتى كانت مقطورة آل (سواى) - المصنوعة من الخشب فى أكثرها - قد انتهت تمامًا ..

والتف الناس يرمقون النار التى لم تمتد لمقطورات أخرى لحسن الحظ .. وبعد قليل جاء رجال الإطفاء وفتحوا خراطيمهم ..

قال أحد الجيران :

- « ياللجحيم ! إننا نعيش جميعًا فى محارق ! »

وحمد الله على أن النار لم تنتشر ..

- « يالبؤس آل (سواى) ! ماذا سيحدث لهم بعد هذا ؟ »

* * *

خمسة عشر ..

لمدة اثنتين وعشرين سنة ؛ كان القاضى المحترم (هارى روزفلت) يرأس محكمة (شيلبى) للأحداث ، وبرغم طبيعة المحكمة المثيرة للاكتئاب والإحباط كان يديرها بحماس وحب شديدين . إنه أول قاض أسود يرأس محكمة أحداث فى (تنيسى) .. لقد عينه الحاكم فى السبعينات ، ومن يومها رفض القاضى أربعة مناصب فى محاكم أهم .. محاكم تعمل أجهزة التدفئة بها فى فصل الشتاء ..

الحقيقة أنه كان يعتبر نفسه (مجرد صبى أسود فقير) .. لقد عرف الجوع فى طفولته ، ولم ينس هذا قط ، لهذا كان مكتفيًا براتبه

الضئيل فى هذه المحكمة .. راتب ضئيل لكنه يطعم أسرته ويعيشه فى بيت لطيف ..

ولهذا أيضًا كان يحب محكمة الأحداث ، ويعتبرها أهم مكان فى العالم .. هنا فقط يستطيع مساعدة الأطفال المعوزين والمحتاجين والمتشردين ..

لقد طلب رجال المباحث الفيدرالية مقابلته ، وكان معهم الرجل الثانى فى جهاز FBI وهو (ك . لويس) ، وقالوا له :

ـ « إننا يا سيدى نعتقد أن (مارك سواى) قد عطّل التحقيق فى الموضوع .. »

ـ « أى موضوع ؟ مقتل السناتور أم انتحار المحامى ؟ »

ـ « الاغتيال سعادتكم .. لكن الانتحار له علاقة قوية بالاغتيال .. »

ـ « وماذا لو لم يكن الصبى عالمًا بشىء ؟ »

ـ « لن نتأكد حتى نسأله يا سيدى .. حتى الآن هو يعطل التحقيق ، ونحن لانريد سوى أن يقف الصبى على منصة الشهود ، ويتكلم تحت القسم .. فلو أقسم الصبى أنه لايعرف شيئًا عن مكان الجثة ، لانتهى الأمر ، وسمحنا له بالعودة إلى داره .. ليس لدينا مخرج آخر سوى هذا سعادتكم .. الحل الآخر هو أن نقدم طلبًا فى (نيو أورليانز) لشهادته أمام المحلفين .. »

قال وهو يقلب أوراقه :

ـ « لا .. لاأحب أن يقف الطفل أمام المحلفين .. أفضل أن ننهى هذا فى محكمتى .. »

وكانوا يعرفون أنه سيقول هذا .. إنه لايقاوم إلقاء عباءة حمايته على أى طفل فى مأزق ..

ـ « فلنجر جلسة سماع اليوم .. موعد الغداء .. »

ونظر إلى جدول مواعيده الذى كان يحوى قدرًا من التعاسة أكبر من أى شىء يمكن تحمله فى يوم واحد ..

كان (فولتريج) ومساعده (فينك) بحاجة إلى أمر احتجاز الصبى .. أن يحمله رجال الشرطة إلى سيارتهم ، ويضعوه فى زنزانة ما .. باختصار : إثارة رعبه إلى درجة الكلام ..

ناول (ماكتون) القاضى صورة صغيرة لامعة ، وقال :

ـ « إن الرجل هو (بول جرونك) .. إنه قاتل من (نيو أورليانز) وصديق حميم لـ (مولدانو) .. لقد التقطنا هذه الصورة لحظة دخوله المطار

قادمًا إلى (ممفيس) ، وللأسف نحن لانعرف مكانه الآن .. »

ثم أخرج صورة أخرى ، وقال :

ـ « هذا هو (بيرينى) والآخر هو (بونو) .. كلاهما من قتلة المافيا ، وقد وصل الاثنان إلى (ممفيس) أمس .. إنهما لم يجيئا هنا كى يأكلا (الريَش) المشوية .. إن الصبى فى خطر سعادتكم .. ومنذ ساعات احترقت مقطورة آل (سواى) فى (تاكرهيل) تمامًا ، وذلك بفعل فاعل .. »

ـ « وهل تراقبون الصبى؟ »

ـ « نعم ياسيدى .. لقد طلبت محاميته رسميًّا حماية المباحث الفيدرالية ، ورجالنا الآن فى المستشفى حول غرفة الصبى .. إن هؤلاء الفتية قتلة يتلقون الأوامر من (مولدانو) .. »

نظر القاضى لهم مفكرًا ثم نظر إلى ساعته ، وجرّد قلمه :

ـ « سأوقع أمر الاحتجاز .. أريد أن يؤخذ الصبى إلى جناح الأحداث ، ويوضع فى زنزانة وحده .. يجب أن تتعاملوا معه بقفازات من مخمل لأن هذا سيفزعه حتى الموت .. »

شكروه كثيرًا ، ووقفوا طالبين الإذن فى الإنصراف ..

★ ★ ★

سمع (مارك) دقات على غرفته فى المستشفى ، فنهض ليفتحه .. رأى وجهين جديدين عليه ، وتوقع المتاعب لأنه وجد الممرضة معهما ، ورأى رجلى الأمن يقفان على جانب ليفسحا للقادمين .. وعلى وجوه الجميع كان التجهم والقلق كأنما يتوقعون حادثًا جللاً ..

قال الصوت الأقرب والأعلى :

ـ « نحن نبحث عن (ديانا سواى) .. أنا المفتش (نصّار) وهذا المفتش (كليكمان) من شرطة (ممفيس) .. »

كانا أقرب إلى الشباب ، وناول (نصّار) بعض الأوراق من فوق رأس (مارك) إلى أمه المذعورة ، وقال :

ـ « هذا أمر لمثول ابنك أمام محكمة الأحداث ظهر اليوم .. »

ارتجفت يدها بعنف وهى تحاول الفهم .. فقال (مارك) :

ـ « هل لى أن أرى هويتيكما ؟ »

فمدّ كلا الرجلين يده فى جيبه ، وأخرج بطاقة هويته .. ثم قال (نصّار) :

ـ « إن الأمر يتطلب أن نأخذ (مارك) معنا الآن .. »

ـ « ماذا ؟! »

صرخت (ديانا) وضربت يده فأسقطت الأوراق ، وكان صوتها يحوى من الغضب أضعاف ما فيه من خوف :

ـ « حاولوا أن تأخذوا ابنى ! لن يأخذه أحد ! فوق جثتى .. »

ودّوى صراخها فى ردهات المستشفى .. تراجع (نصّار) خطوة لكنه كان محترفًا ، وقد اعتقل المئات من قبل .. لهذا قال لها فى هدوء :

ـ « سيدتى .. أنا لا أحب أن أفعل هذا ، لكنها أوامر القاضى المحترم (هارى روزفلت) رئيس محكمة الأحداث .. نحن سنعنى بـ (مارك) .. »

صاحت الأم فى جنون :

ـ « هل من أحد يساعدنى هنا ؟ »

لكن الممرضات وقفن جامدات ولم يتحركن .. وقال لها (مارك) :

ـ « ليس بصوت عال يا أماه .. سيسمعنا (ريكى) .. »

راح (كليكمان) ينظر لـ (مارك) كأنه سفاح ظلوا يتتبعون أثره من أعوام ، وقال أخيرًا :

ـ « انظرى يا مسز (سواى) .. ليس لدينا الخيار .. »

ومدّ (نصّار) يده ليمسك بـ (مارك) .. هنا هجمت (ديانا) كثعبان الكوبرا ، وصفعته على خده الأيسر .. أسرع (كليكمان) يمسك بمعصمها ودفعها للوراء .. فحاولت الهجوم ثانية

وراحت تركل (نصّار) فى فخذه ، لكن قدميها كانتا عاريتين فلم تؤذه إلا قليلاً ..

اندفع الجميع يقفون بينها وبين الشرطيين ، على حين جذب (كليكمان) (مارك) بعيدًا .. هنا انفتح الباب وظهر (ريكى) .. وقف مشدوهًا يرمق ما يحدث وهو يحتضن أرنبًا صغيرًا من الفراء .. كان وجهه أبيض كالملاءة وفمه مفتوحًا دون كلام ، ثم فجأة بدأ الأنين الخافت الذى لم يسمعه أحد سوى (مارك) من قبل .. هرعت (ديانا) تحمله وتحتضنه لكن الأنين زاد قوة ، ثم سرعان ما عاد إصبعه إلى فمه ..

قال (كليكمان) لـ (مارك) :

ـ « فلنذهب يا صبى .. »

ـ « هل ستضعان الأصفاد فى يدى ؟ »

- « لا .. هذا ليس اعتقالاً .. والآن هل أنت ذاهب معنا أم نجرك جرًا »

نظر (مارك) فى عينيه بثبات ، وقال :

- « تحسبانى خائفًا ؟ إن لدى محاميًا بارعًا سيخرجنى بعد عشر دقائق ، وعند الظهيرة ستكونان فى الشارع تبحثان عن عمل آخر .. »

- « سيكون هذا جميلاً لأننى أمقت هذه المهنة .. »

ومشى (مارك) وسطهما عبر ردهات المستشفى ، وقال :

- « ستفقدان وظيفتكما .. ولن تجدا وظيفة أخرى لأنه لا أحد يوظف المعتوهين الآن .. »

- « راقب فمك يا صبى .. »

وشعر (مارك) أنه بطل حقيقى .. مواطن

برىء يُقاد إلى الذبح .. وسرَه أن الصحفيين الذين يملئون المستشفى رأوا المشهد ، فراحت أضواء الفلاش تلتمع .. وانهمرت الأسئلة لكن (نصَار) ازداد عصبية وحجب عينيه ..

وفتحوا له السيارة ليجلس ، فركب وهو يصيح ليسمعه الصحفيون :

- « يمكنكما عمل أى شىء بى فأنا مجرد طفل .. يمكنكما أن تلقيانى فى الشارع وتوسعانى ركلاً .. إنها طريقة جيدة للتخسيس فلماذا لا تجربان ؟ »

كان الرجلان مغتاظين حقًا ، وشعر بأنهما قادران على خنق الصبى فعلاً .. لم يكن هذا يومهما السعيد .. وفى الطريق ظلا صامتين بينما شتائم الطفل تنهمر عليهما ..

أخيرًا وصلوا إلى حجز الأحداث فصمت (مارك) .. إنه فى وكرهم الآن ، وسيارات الشرطة تحيط بالمبنى ، بينما البوليس فى كل مكان .. نظر له (نصّار) وهو يتحسس خدّه المتورم .. شعر بالأسى من أجله برغم كل شىء .. إنه مجرد طفل صغير فعلاً ..

وجاءت حارسة تحمل لوح كتابة ، وقالت :

- « القاضى (روزفلت) أمر أن يوضع فى غرفة خاصة .. كأن هذا هو (الهيلتون) »

- « لا يهمنى أين تضعونه .. فقط خذوه بعيدًا .. »

وعبر الممر اقتادت الحارسة (مارك) لتفتح بابًا خشبيًا كبيرًا .. ثم مشت عبر ممر طويل تملؤه الأبواب ذات القضبان الحديدية على

الجانبين .. فى النهاية وقفت أمام رقم (١٦) وأشارت له كى يدخل ..

كانت الغرفة مضاءة بشدّة وبها فراشان فوق بعضهما ، فأشارت له كى يختار أحدهما .. جلس على السفلى وأراح ذقنه على ساعديه وتأمل السجادة ..

وحين خرجت أخيرًا استطاع - لحسن حظه - أن يبكى ..

★ ★ ★

ستة عشر ..

جلست (ريجى) فى مكتب القاضى المحترم (هارى روزفلت) مندهشة من فوضى المكان حولها .. كانت السجادة عتيقة والملفات والكتب فى كل مكان .. بالتأكيد لا يذكر (روزفلت) شكل سطح مكتبه الآن، وهل كان من الخشب أو الجلد .. ثمة ثلاثة مقاعد خشبية ؛ اثنان منها تغطيا بالملفات تمامًا، لذا جلست على الثالث ..

لم يكن (روزفلت) من القضاة الذين يدرسون القانون ؛ لأنه كتب بنفسه أكثر أجزائه، وكان بصفة خاصة يمقت المحامين الذين يحبون سماع أنفسهم يتكلمون .. لكن كان يرتاح لـ (ريجى) ويعتبرها صديقة مخلصة .. لقد رآها كثيرًا فى قضايا الأحداث، ويعرف تفانيها وإخلاصها ..

وضع روبه الأسود على أحد المقعدين، وجلس .. فقالت له :

ـ « ما كان عليك يا (هارى) أن توقع أمر الاحتجاز .. كنت سأحضره هنا بنفسى .. أنت تعرف هذا .. لقد كان عندى أمس ونام فى حجر (ماما) .. »

كانت من المحامين القليلين الذين يمكنهم ـ فى خلوة ـ أن ينادوا القاضى باسمه المجرد .. فقال لها :

ـ « إن رجال المباحث الفيدرالية يعتقدون أن (مارك سواى) فى عالم خطر .. والمدينة تعج بزملاء (بارى مولدانو) .. لحسن الحظ أنه لا فروع للمافيا فى (ممفيس) .. إن هذا يثير ذعرى .. فهؤلاء القوم لا يلعبون ..

ـ « أرجوا أن تتصحى عميلك جيدًا ، فأنا خشن مع الصبية الذين لا يطيعوننى .. »

ـ « أعرف هذا .. »

★ ★ ★

هدأت المحكمة عند الظهيرة لتناول الغداء ، ودخل (مارك) إلى القاعة فوجدها غريبة من طراز لم يره قط من قبل .. ثمة منصة يجلس عليها القاضى ووراءه علمان ، وأمامه منضدة صغيرة جلس عليها رجال فى ثوب أسود .. وشابة حسناء جالسة أمام القاضى ممسكة بآلة اختزال .. الواقع أن القاعة كانت أضيق بكثير مما تخيل (مارك) .. ثمة حاجب يقف على يسار القاضى يلعب دور آخر الممثلين فى هذه المسرحية ..

دخل القاضى وطلب من الحاجب أن يغلق

الباب ، لكن عليه أولاً أن يطرد كل من ليس محاميًا أو شاهدًا فى هذا الموضوع ، ثم قال :

ـ « للتسجيل أقول إن أم الصبى ليست هنا ، وهذا يضايقنى .. »

نهض رجل من بين المدعين ليثبت وجوده ، وقال :

ـ « سعادتكم .. أنا (توماس فينك) مساعد المدعى العام لجنوب (لويزيانا) .. »

نظر له القاضى فى دهشة ، كأنه منبهر بهذه الحكمة التى تتدفق من عقل قانونى فذ .. على حين واصل (فينك) :

ـ « سعادتكم .. لقد قدمنا العريضة لأن الموقف ملحّ جدًا ، والطفل يمثله محام كفء ولن نعتدى على حقوق الطفل فى غياب أمه .. وكما نفهم فإن وجود الأم جوار طفلها الثانى مطلوب ،

ولانعرف إلى متى .. لهذا نحن مصرون على سماع شهادة (مارك سواى) .. »

وضع القاضى منظاره أمامه ، ونظر إلى (فينك) مباشرة ، وأشار له بإصبعه :

ـ « اسمع يامستر (فينك) .. ليست هذه إحدى محاكمكم الفاخرة فى (نيو أورليانز) ، ولست واحدًا من قضاتكم .. هذه محكمتى وأنا الذى يضع القواعد .. القاعدة الأولى ألا تتكلم فى محكمتى إلا حين يوجه لك الكلام .. القاعدة الثانية أننى لا أحب أن يقف أحد وهو يتكلم .. القاعدة الثالثة أننى لا أحب أصوات أولئك الذين يعشقون سماع أنفسهم يتكلمون .. »

نظر له (فينك) مذعورًا ، وحاول أن يهز رأسه .. ولم يتمالك (ماكتون) ابتسامة تلاعبت على شفتيه .. كان طيلة عمره يمقت المحامين ..

وبلهجة ودية خاطب مس (لاف) :

ـ « أعتقد أن عندك اعتراضات لصالح الطفل .. »

ـ « عدة اعتراضات سعادتك .. إننا لم نتلق العريضة قبل الجلسة بوقت كاف .. أنا محامية الطفل ، لكننى لم أعرف شيئًا قبل خمس وسبعين دقيقة .. وإننى أطلب تأجيل هذه الجلسة .. »

ـ « ليكن .. لكننى لن أسمح له وقتها بمغادرة الحجز .. يمكنه البقاء فى الحجز إلى أن يقرر الكلام .. »

ـ « لا سعادتكم .. مادام الأمر كهذا ، فأنا موافقة على سماعه الآن .. »

قال القاضى لكاتبة الجلسة :

ـ « للتسجيل .. قولى إننا عرضنا تسجيل

جلسة السماع ، لكن محامية الطفل رفضت هذا الطلب .. »

أضافت (ريجى) مشاكسة :

ـ « أرجو تسجيل كذلك أننى رفضت الطلب ، كى لايبقى الطفل فى حجز الأحداث .. إن السادة المدعين ورجال المباحث الفيدرالية ليسوا واثقين مما يعرفه الصبى .. لهذا يطلقون رصاصهم فى الظلام عسى أن يصيبوا شيئًا ما ، ويستعملون الكثير من (ربما) و (ماذا لو) .. »

قال القاضى :

ـ « هذا ماسنعرفه حالاً .. استدع شاهدك الأول يا مستر (فينك) .. »

وكان هذا الشاهد هو ضابط الشرطة (هاردى) أول من اعتقل (مارك) بعد الحادث ..

جلس (مارك) يرقب مايحدث ، دون أن يعرف هل كسبت (ريجى) أم لا .. ولم يكن مهتمًا بشىء .. هناك شىء غير عادل فى هذا كله .. إحضار صبى وسط محكمة ليجلس بين محامين شرسين يتجادلون ، أمام عين القاضى الفاحصة .. والمفترض وسط هذا كله أن يفهم الصبى مايحدث له .. وشعر أن عينيه مبتلتان ، لكنه لم يجرؤ على تجفيفهما ..

قال القاضى موجهًا كلامه لـ (فينك) :

ـ « للتسجيل .. يجب ألا يعرف أى واحد مادار فى هذه الجلسة .. إننى أمنع أى شخص من ذكر حرف قيل فى هذه الجلسة باستثناء مستر (فولتريج) ، لأنه من مقدّمى العريضة ، ويجب أن تخبره أننى متضايق لعدم كونه هنا .. ولو شممت رائحة تسرّب لما يقال هنا ، فسوف

أحصل على حكم بـازدراء المحكمـة ، وأضـع المسئول فى السجن .. »

خفض (فينك) نظـره ، لأنـه مـا مـن أحد استطاع أن يكسب مباراة نظرات مـع القـاضى (روزفلت) من قبل ..

★ ★ ★

دارت جلسة السمـاع ، وأحضرت السكرتيرة كوبيـن ورقييـن مـن الشـاى وضعتهمـا أمـام سعادته .. بعدهـا مـال القـاضى للأمـام وسـأل (ريجى) :

ـ « هل سيشهد (مارك) ؟ »

نظرت إلى الصبى دامع العينين ، وقالت :

ـ « حسـب الظـروف الحاليـة .. نعـم .. سيشهد .. »

نظر القاضى إلى (مارك) وشاعت فى وجهه ابتسامة دافئة ، وقال :

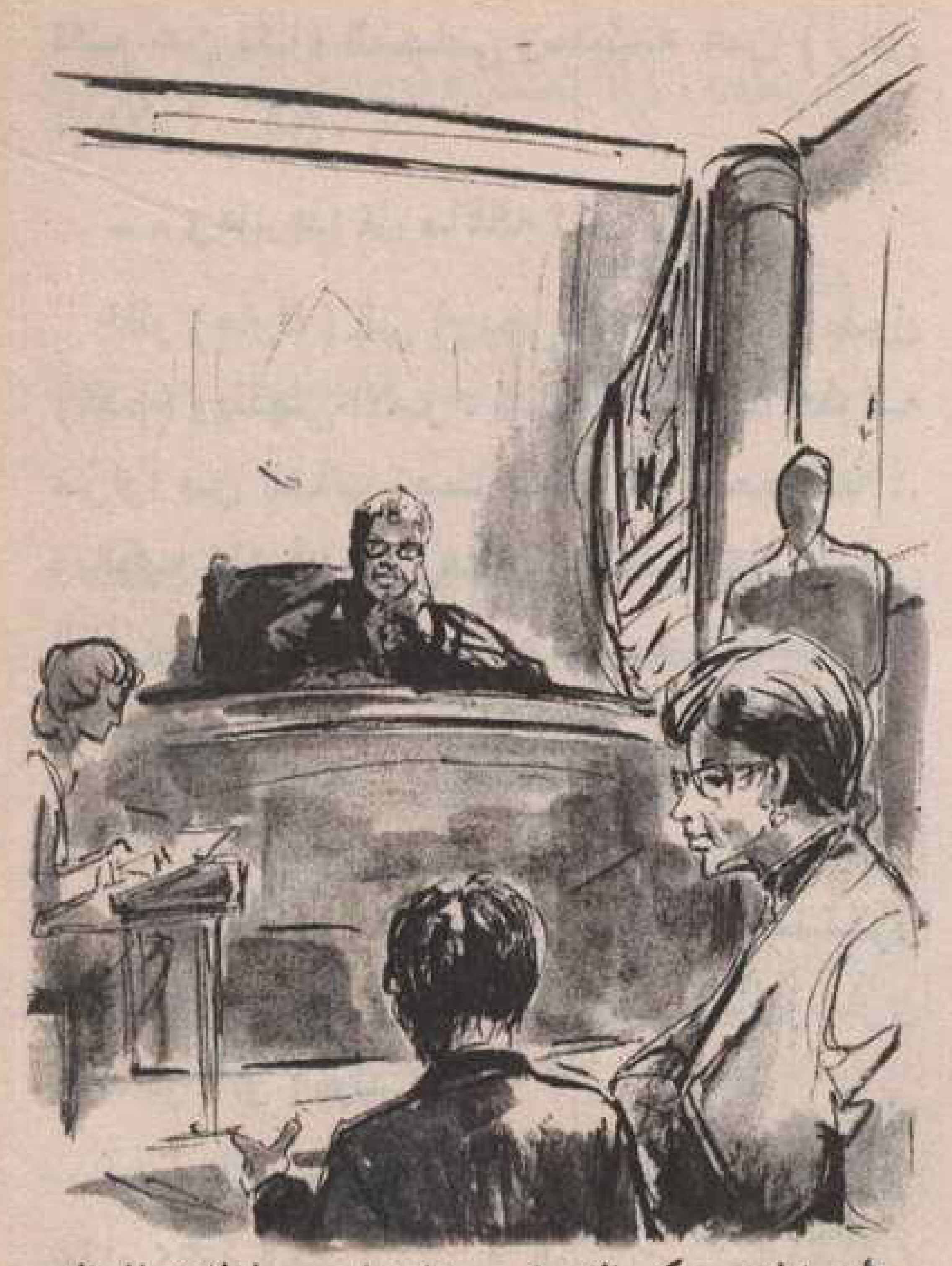
ـ « ستبقى جوار محـاميتك بينمـا أوجـه لـك بعض الأسئلة .. »

تبادل رجـال المباحث الفيدراليـة النظـرات .. ربمـا كـانت هذه هى اللحظـة الكبرى .. سيتكلم الصبى ..

جاء الحاجب وجعل (مـارك) يقسم ألا يقـول إلا الحقيقــة .. كــل الحقيقــة .. ولا شــىء إلا الحقيقة .. ثم قال القاضى :

ـ « لو لم تفهم سؤالاً مما أقول يمكنك الكـلام مع محاميتك .. اتفقنا ؟ »

كان (فينك) يرمق (مارك) كما يرمق الكلب الجائع قطعة لحم ، وفرغ من التهام أظفاره وبدأ يأكل القلم ، والمفكرة ..



بدأ (مارك) يحكى القصة من بدايتها ، من لحظة تسلله إلى الأحراش مع أخيه .. وكان قد حكاها كثيرا لأمه والمحامية ..

بدأ (مارك) يحكى القصة من بدايتها ، من لحظة تسلله إلى الأحراش مع أخيه .. وكان قد حكاها كثيرًا لأمه والمحامية ، فلم تعد تثير اهتمامه ، لكنه الآن كان يرى اتساع عينى القاضى .. بل إن كاتبة المحكمة الباردة كانت تصغى باهتمام ..

لكن زال المرح حين جذب (كليفورد) (مارك) إلى السيارة .. إلخ .. كان (مارك) يتكلم لكن عينيه لاتنظران لشىء ، كأنما هو فى غيبوبة ..

هنا سأله القاضى السؤال الذى انتظره الجميع فى المحكمة :

ـ « ما الذى قاله المستر (كليفورد) لك ؟ »

كان (مارك) مرتبكًا لأنه لم ير قاضيًا يوجه الأسئلة من قبل ، وقرر أن يحوم حول المواضيع ..

تكلم عن بكاء المحامى وحديثه عن (أرض الأحلام) .. إلخ ..

- « وهل هذا كل ما قاله ؟ »

نظر (مارك) إلى (ريجى) .. يمكنه أن يقول (نعم) وينتهى الأمر ، لكنها كانت قد حذرته مرارًا من الكذب تحت القسم فى المحكمة .. وبالطبع كان قد رأى جهاز (كاشف الكذب) فى التلفزيون مرارًا .. هؤلاء هم رجال المباحث الفيدرالية وبالتأكيد عندهم واحد .. بل أكثر ..

سأله القاضى :

- « هل تكلم (كليفورد) عن قضية السناتور (بويت بويد) ، أو ذكر أسماء مثل (بارى مولدانو) أو (بويد) ؟ »

راح (مارك) يرمق عنكبوتًا يزحف جوار حذاء كاتبة الجلسة ، وساد الصمت بينما (فينك)

يعانى بعنف ، وقد تسارع نبضه وارتفع ضغط دمه ..

هنا قال (مارك) :

- « لا أظن أننى أريد الإجابة عن هذا السؤال .. »

هنا استرخى جسد (فينك) ، وقال لنفسه : آه ! إن الوغد الصغير يعرف !

قال القاضى فى أبوّة :

- « (مارك) .. هل تكلم (كليفورد) عن (بارى مولدانو) أو (بويد) ؟ »

- « إننى آخذ التعديل الخامس يا سيدى .. »(*)

- « لا .. إنه ليس فى هذا الموقف ، فأنت

(*) سبق أن شرحناه فى هامش صفحة (٢٩) ..

لست متورطًا فى موت السيناتور .. ولا أية جريمة .. »

- « إذن لماذا وضعتمونى فى السجن ؟ »

- « ولسوف تعود إليه لو لم تجب سؤالى .. »

- « سآخذ التعديل الخامس على كل حال .. »

وللحظة تبادل القاضى والصبى النظرات .. دمعت عينا الغلام وضغط على مسندى المقعد ، حتى أبيضت رءوس سلامياته ..

سأله القاضى من جديد :

- « هل تريد الكلام مع محاميك ؟ »

- « قد تكلمنا بالفعل .. »

وكان (فينك) يوشك على الإصابة بنوبة قلبية .. إن الوغد الصغير يعلم كل شىء .. فلنجعله يتكلم ! هنا قال القاضى :

- « (مارك) .. لو رفضت الكلام سأتهمك بازدراء المحكمة .. »

- « أعرف ياسيدى .. »

- « هل تريد العودة إلى السجن ؟ »

- « لا أريد ياسيدى .. لكن ليس لدىّ مكان آخر .. »

وللحظة لم تبد له الزنزانة مخيفة إلى هذا الحدّ .. هنا سأله القاضى ثانية :

- « هل ذكر (كليفورد) اسم (بارى مولدانو) ؟ »

- « إننى آخذ التعديل الخامس .. »

خلع القاضى عويناته ، وأمسك قلمًا وتأهب للكتابة ، لكن (مارك) صاح :

- « سيدى .. إننى أحترم ماتقوله وماتسأله ،

لكنى عاجز عن الإجابة .. لأننى أخشى ما قد يحدث لى ولأسرتى .. »

- « وأنا أتبع القانون يا (مارك) ولا أتحرش بك .. لست حانقًا عليك لكنك لم تترك لى الخيار .. »

ثم أضاف وهو يفحص جدول مواعيده :

- « نلتقى هنا فى استجواب جديد ظهر غد إن كان هذا يناسب الجميع .. »

هنا صاح (فينك) فى ذعر :

- « سيادتك .. لن أستطيع أن أكون هنا غدًا .. إن مكتبى فى (نيو أورليانز) .. »

قال القاضى :

- « آه .. آسف .. لكنك ستكون هنا غدًا يا مستر (فينك) ، أنت والمستر (فولتريج) ..

لقد قدمتما عريضتكما فى (ممفيس) فى محكمتى ، وعليك أن تطلب مستر (فولتريج) ليكون هنا فى الثانية عشرة .. ولو لم تأت لاتهمتك بازدراء المحكمة ، ولربما زججت بك ورئيسك فى السجن .. »

فغر (فينك) فاه .. فتدخل مساعده قائلاً :

- « سعادتكم .. إن مستر (فولتريج) فى المحكمة غدًا بأمر القاضى ، لأن مستر (مولدانو) قد وكل محاميًا جديدًا .. »

- « إذن فليرسل لى صورة بالفاكس من أمر القاضى ، ولسوف أعذره .. لكننى سأعقد هذه الجلسة كل يوم حتى يتكلّم (مارك) ، وعلى مقدمى العريضة أن يتواجدوا كل يوم .. »

صاح (فينك) :

- « هذا فيه كثير من المشقة علينا سعادتكم .. »

ـ « ليس كالمشقة التى ستجدها لو لم تأت حسب أوامرى .. »

شعر (فينك) بالغيظ .. لقد جاء إلى (ممفيس) من ست ساعات، دون أن يحمل غيارًا أو فرشاة أسنان .. الآن يبدو أنه سيستأجر شقة فيها مع (فولتريج) ..

قال القاضى بعد أن طلب من كاتبة الجلسة الامتناع عن الكتابة :

ـ « استرخ يا مستر (فينك) .. أنا لا أرغب فى احتجاز الصبى أكثر من اللازم .. إنه مذعور ونحن نفهم هذا .. ربما يقبل الكلام لو ضمنتم له سلامته، وأنا مستعد لسماع الاقتراح .. »

كان (ك . لويس) الرجل الثانى فى المباحث جاهزًا، فقال :

ـ « سعادتك لقد قمت بالخطوات الأولى فى

برنامج وضع آل (سواى) ضمن برنامج حماية الشهود(*) .. سننقلهم إلى مدينة أخرى، ونعطيهم أسماء جديدة، ومنزلاً جديدًا، ونجد للأم وظيفة مناسبة .. سندخل الصبية مدارس جيدة، ونترك للأسرة مبلغًا من المال، ونبقى قريبين نراقب .. »

قال القاضى :

ـ « يبدو هذا مناسبًا يا مس (لاف) .. »

قالت (ريجى لاف) :

ـ « لكن الأسرة لا تستطيع الانتقال سعادتك، بسبب مرض الطفل الأصغر .. »

قال (لويس) :

(*) يهدف برنامج حماية الشهود إلى إبقاء الشهود بعيدين عن إيذاء (المافيا)، وبالتالى يعطيهم فرصة الكلام دون خوف .. وتفاصيل البرنامج هى ما قاله (لويس) للقاضى ..

- « لقد وجدنا مختصًا فى طب الأطفال النفسى فى (بورتلاند) ، وهو مستعد لعلاجه طبعًا على نفقة الحكومة .. إن وضع الأسرة فى البرنامج سيتم خلال أسبوع ، وهو الوقت اللازم لاستخراج شهادات ميلاد جديدة .. بطاقات هوية جديدة .. بطاقات ائتمان .. أشياء كهذه .. »

كان العرض مغريًا بحق .. فالأسرة حاليًا بلا مسكن بعد حرق المقطورة ، وبلا عمل للأم بعد ما فصلت من وظيفتها ، وبلا أقارب فى هذه الولاية .. لكن هل تقبل الأم ؟

★ ★ ★

سبعة عشر ..

فى الصباح - صباح الجمعة - جلست (ريجى) فى شرفتها ترشف القهوة السوداء ..

كان صباحًا رطبيًا من شهر سبتمبر ، وقد سرت لأن أيام الصيف الحارة اللزجة قد ولت بلا رجعة .. ولم تكن قد نامت بعد ..

لقد اتصل بها رجال الشرطة فى الواحدة صباحًا ، وقالوا إن هناك مشكلة فى مكتبها .. هرعت إلى هناك لتجد ستة من رجال الشرطة .. كانوا قد اعتقلوا (جاك نانس) بعد ما فرغ من زرع أجهزة التنصت فى مكتبها ..

لم يُسرق شىء .. أما ملف (مارك سواى) فكان فى حقيبتها ..

وفهمت أن رجال الشرطة كانوا يراقبون (نانس) ، وتوقعوا ما قام به ..

شرحوا لها علاقة (نانس) برجال المافيا (جرونك) و (بونو) .. إنهم لا يعرفون أين الأخير لكنهم يراقبون الأول ..

تركوها فى الرابعة وحيدة .. تتأمل الفكرة المرعبة أن قاتلاً أو محترفًا كان هنا ليجمع المعلومات عنها ..

راحت ترمق السماء الشرقية تستحيل إلى اللون البرتقالى ، وتذكرت (مارك) الذى دخل مكتبها منذ يومين مبللاً بالعرق والمطر ..

هنا دق جرس الهاتف فأجفلت .. بالتأكيد هناك متاعب لأنه لا أحد يتصل فى السادسة صباحًا إلا لهذا ..

كان المتكلم هو القاضى (هارى روزفلت) :

ـ « آسف لأننى أيقظتك .. »

ـ « كنت متيقظة فعلاً .. »

ـ « هل رأيت الجريدة ؟ ثمة صورتان لـ (مارك) وهو يغادر محكمة الأحداث ، وكاتب المقال اسمه (سليك مولر) .. إنه يعرف كل تفاصيل جلسة السماع .. كل ما قيل فيها .. ويقول إن مصدره مجهول .. »

فكرت قليلاً ، ثم قالت :

ـ « أتراه (فينك) ؟ »

ـ « أشك فى هذا .. لن يستفيد من ذلك وسيكون خطرًا داهمًا عليه .. لسوف أستدعى (مولر) إلى المحكمة وأسأله عن مصدر معلوماته ، فإن رفض سأتهمه باحتقار المحكمة .. »

قالت له :

ـ « سأحكى لك أيضًا عن ليلتى الطويلة .. »

وحكت لـه كل شىء .. ثـم أمسكت القـدح بكفيها وراحت ترمـق النهـار ، وتشـم رائحـة الجو .. لكم تمقت الصحفيين ! الآن يعرف كل النـاس أن (مـارك) يعـرف شـيئًا لا ينبغـى أن يعرفه ، ولسوف يزداد موقفـه سوءًا ، ولسـوف ينظر لها بعينيـه الزرقـاوين الدامعتين ويسـألها عما يفعله بعد هذا ..

كيف بحق السماء تعرف ؟ إنها فى خطر هـى الأخرى ..

★ ★ ★

جاء الجميع لجلسة السماع عند الظهر ، وفى هذه المرة جاءت (ديانا سواى) الأم بنـاء علـى طلب القاضى .. حيّاها بهـزّة مـن رأسـه وابتسم بدفء .. ثم استدار ونظر إلى الجالسين ، وقال :

ـ « أعتقد أنكم قرأتم صحف اليـوم وتعرفـون ما أريد قوله .. ثمة من سرّب خبر جلسـة أمـس إلى الصحف .. لسوف أجد الشخص حتمًا .. »

كان (جريندر) حاجب الجلسة العجوز يقف جـوار القـاضى ويرتجـف .. لقد أصيـب بنوبتـه القلبية منذ ستة أعوام ، ولو استمر الحال سيصاب بالنوبـة الكبيرة هذه المـرة .. لقد كـان هـو مـن أخبر (مولر) بالتفاصيل ، وهما واقفان عند المبولـة فى دورة المياه ، وتقاضى ورقة بمائة دولار ..

بعد هذا قدم (فينك) صورة من أمـر محكمـة (نيو أورليانز) الـذى يسـتدعى (فولـتريج) ، فقبل القاضى العذر ..

من جديد عاد القاضى يسأل (مارك) :

ـ « هل ذكر (كليفورد) اسم (بارى مولدانو) قبل انتحاره ؟ »

- « لن أجيب عن هذه السؤال ياسيدى .. »

- « هل ذكر اسم (بويت) ؟ »

- « لن أجيب ياسيدى .. »

كانت الأم ترمق كل هذا عاجزة عن التنفس والفهم .. وقال القاضى :

- « أيها الحاجب .. خذ (مارك) إلى غرفة الشهود .. »

ثم سأل (ك . لويس) :

- « ما الشىء المهم الذى أردت أن تقوله لى قبل الجلسة ؟ »

كان (لويس) مغتاظًا .. فلديه ألف شىء مهم فى مكتبه بـ (نيو أورليانز) ، أكثر أهمية من صبى كتوم .. وما كان ليضيع كل هذا فى (ممفيس) ، لكن مدير المباحث الفيدرالية كان مهتمًا بالموضوع ..

قال (لويس) وهو يضع جهاز (كاسيت) على المنضدة :

- « سعادتكم إن رجالى يراقبون (بارى مولدانو) منذ أشهر ، وهذه محادثة سجلناها له منذ يومين فى أحد مطاعم (نيو أورليانز) .. الصوت الأول هو صوت (مولدانو) .. الصوت الثانى هو صوت (جرونك) .. هل نسمعه ؟ »

هزّ القاضى رأسه موافقًا ، فبدأ (لويس) تشغيل الشريط وساد الصمت .. كانت الأصوات واضحة تمامًا ..

(مولدانو) يتكلم عن قتل الصبى ، و (جرونك) ينصحه بألا يفعل لأنها حماقة .. ثم يقترح (مولدانو) قتل الأم أو الأخ ، لكن (جرونك) يكره قتل الأبرياء ..

بعد هذا يقترح (مولدانو) قتل المحامية ،

لأن هذا سيثير ذعر المحامين الآخرين ولن يتولى محام واحد قضية الصبى ..

أغلقت (ريجى) عينيها .. إن هذا شنيع .. هذان الرجلان يناقشان قرار قتلها بهذه البساطة .. أما (ديانا) فتصلبت فزعًا .. وحين انتهى الشريط طلب القاضى أن يسمعه ثانية .. وحدّق فى الجهاز كأنما يرى وجهى الرجلين ..

وحين انتهى الشريط، شرب جرعة من الشاى البارد، وقال لـ (ديانا) :

- « الآن يا مدام (سواى) .. هل فهمت لماذا وضعنا (مارك) فى الحجز ؟ »

- « أعتقد هذا .. »

- « أنا لم أسجنه لأنه خالف أوامرى، ولكن لأنه فى خطر داهم .. ورجال المباحث الفيدرالية

يضمنون سلامته لو تكلّم لأنهم سيشملونه ببرنامج حماية الشهود .. »

قالت فى توجس :

- « لكن المافيا تجد بعضهم فى النهاية .. أليس كذلك ؟ »

لم يستطع (لويس) أن يتكلم، لأن الحقيقة أن برنامج حماية الشهود كان يفشل أحيانًا .. كان هذا احتمالاً واردًا ..

- « إن من يطاردون ابنى هم المافيا .. أليس كذلك ؟ »

كان كل أحمق يعرف أنها المافيا .. محامى مافيا وقاتل مافيا وسلاح مافيا .. ورجل من أسرة مافيا عمرها أربعة عقود .. لكن كلامها كان واضحًا .. إن المافيا جيش لا يُرى، وفيه عدد كبير من المقاتلين ..

قال (فينك) :

ـ « أنت لاتريدين لابنك أن يبقى فى الحجز .. »

ـ « سيدى .. أفضل أن يكون ابنى سجينًا على أن يكون ميتًا .. »

★ ★ ★

ثمانيـــة عشـــر..

اقتادت السجانة (مارك) إلى الحجز ، وكان يمشى معها ساهمًا ينظر إلى الأرض كمن رأى انفجار سيارة فى شارع مزدحم .. فسألته :

ـ « هل أنت على ما يُرام ؟ »

فهز رأسه أن نعم .. أدخلته الغرفة ، ونظرت فى عينيه باهتمام :

ـ « هل أنت بخير ؟ هل أستدعى الطبيب ؟ »

أمسك بذراعها، وقال بصوت غريب :

ـ « أريد أن أبقى وحدى .. لاشىء سوى هذا .. »

غادرت الغرفة وعيناها لاتفارقانه ، فما إن

ابتعدت خطواتها ، حتى أنزل (مارك) قدميه من فوق الفراش ونهض ..

★ ★ ★

فى الساعة الخامسة قرعت السجانة ـ واسمها (دورين) ـ الباب ، فلما رآها (مارك) تحول إلى (زومبى) .. جلس على ركبتيه وراح يرمق الأرض فيما يشبه الغيبوبة ، فقالت له :

ـ « (مارك) .. أنا فعلاً قلقة عليك .. أخشى أن تدخل فى صدمة مثل أخيك .. »

نظر فى عينيها ، وقال بلهجة مخيفة :

ـ « أنا بخير .. فقط أنا بحاجة إلى الراحة .. »

ـ « حسن .. لقد انتهت ورديتى ، لكنى سأطلب من (تيلدا) أن تعنى بك .. يالك من صبى مسكين ! هذا المكان لايناسبك .. »

ـ « سأتغلب على هذا .. »

★ ★ ★

فى الثامنة مساء جاءت (تيلدا) إلى غرفته ، ولم تكن وحدها .. كان معها رجلان ضخمان فى سترتين أنيقتين ، وقالت :

ـ « (مارك) .. هذان مارشالان من مارشالات الولايات المتحدة .. »

تراجع (مارك) ليقف جوار المرحاض .. فقال الأول :

ـ « مرحبًا .. يابنى .. أنا (فيرن دوبوسكى) .. نائب مارشال الولايات المتحدة .. لاتخف .. قد جئت فقط لأعطيك بعض الأوراق .. إنه استدعاء للشهادة أمام المحلفين فى (نيو أورليانز) يوم الإثنين .. سنأتى لنأخذك عصر غد وننقلك إلى هناك .. »

شعر بألم فى معدته ووهن شديد .. (نيو أورليانز) ! سألهما :

ـ « لماذا ؟ »

ـ « ليس من عملنا أن نجيب عن هذا .. بالطبع يمكنك إبلاغ محاميتك ووالدتك .. »

كان (مارك) يشعر بغثيان من القوانين والمحامين والمحاكم والمارشالات ، وأقسم فى سره أنه لن يذهب إلى (نيو أورليانز) أبدًا ..

كانوا قد رتبوا إرسال مارشالين لإبلاغ (ديانا) ، ومارشالين لإبلاغ المحامية ، وقد نسقوا هذا كله ليتم فى نفس الوقت .. فى الواقع كان مارشال واحد يكفى لهذا ، ويمكنه القيام به خلال ساعة ، لكن كانوا يستمتعون بإرسال ستة رجال فى ثلاث عربات ، وفى كل عربة جهاز

لاسلكى .. وأن يتحركوا فى الظلام كأنهم من فرق القوات الخاصة ..

★ ★ ★

فى العاشرة مساءً تمَّ آخر (تمام) على الغرف فى مركز احتجاز الأحداث .. فوجئت السجانة بأن ضوء (مارك) مفتوح .. دخلت لتراه فوجدته على الأرض ، وقميصه مفتوحًا والعرق يغمره ، وكان يتنفس بصعوبة بالغة ..

كان منثنيًا على نفسه فى وضع الجنين ، وإبهامه فى فمه .. هرعت خارج الغرفة لتنادى زميلها (دينى) الذى عاد سريعًا ..

قال حين رأى المشهد :

ـ « هذا ما كانت (دورين) تخافه .. اطلبى الإسعاف حالاً .. إنه فى صدمة .. »

كان (مارك) قد بدأ يئن ، ويمتص إصبعه فى عنف ، فقالت :

- « إنها غلطتى .. ما كان يجب أن أسمح لهذين المارشالين بلقائه .. لقد أفزعا الصغير حتى الموت .. سحقًا ! إنه يتنفس كالمجانين وقلبه يوشك على الانفجار ! هذا ما حدث لأخيه كما قالت (دورين) .. لقد رأيا رجلاً ينتحر فى الغابة .. أين هذه الإسعاف ؟ »

صوت الأنين مخيف بحق .. وجاء مسعف من السجن الرئيسى ومعه سجّان ، وقالت له (تيلدا) :

- « أعتقد أنها صدمة ما بعد التوتر أو شىء كهذا .. »

كان المسعف لا يسمعها وانهمك فى قياس النبض .. ثم قال لها مقطبًا وهو يتكلم فى جهاز اللاسلكى :

- « يجب أن يذهب .. أحضروا النقالة إلى الطابق الرابع .. »

- « لقد أوصتنى (دورين) لو حدث شىء أن ننقله إلى مستشفى (سانت بيترز) حيث الطبيب النفسى الذى يعالج أخاه .. »

وجاءت النقالة فمددوا الصبى عليها .. لم يفتح عينيه قط لكنه حاول أن ينثنى على نفسه ، لكن أشرطة الفلكرو منعته ..

قال أحد المسعفين فى حيرة :

- « إن الجلد يكون باردًا رطبًا فى الصدمات .. لكن جلد هذا دافئ .. »

- « ربما الصدمات النفسية تختلف .. »

ونزل المصعد بالنقالة .. ثم إلى حيث سيارة الإسعاف ، واستغرقت الرحلة ثلاث دقائق إلى

مستشفى (سانت بيترز) .. فى الخارج كان هناك زحام وثلاث عربات إسعاف تقىء حمولاتها .. إن مستشفى (سانت بيترز) يتلقى جل حالات الطعنات وطلقات الرصاص فى (ممفيس) كلها .. دعك من ضحايا الحوادث ..

أدخله المسعفان عبر الاستقبال، فسألتهما ممرضة وسط الزحام عما هناك فقدما لها نموذجًا من الحجز .. نظرت فيه، وقالت :

- « إذن هو لا ينزف .. »

قالتها كأنما النزف هو المرض الوحيد المعترف به فى العالم، وفكرت فى مدى حمق هذين الرجلين .. وتفحصت أوراقها، وقالت :

- « نحن فى ميدان حرب هنا .. لا نتكلم إلا بلغة الدماء والأحشاء، وقد مات مريضان هنا فى النصف ساعة الأخيرة .. إن مشاكل الأطفال

النفسية ليست فى مكان بارز من جدول أعمالنا الآن .. »

قال أحد المسعفين :

- « هل ترين أن نذبحه لنثير اهتمامك ؟ »

- « لا .. أرى أن ترحلا وسأعنى به .. لكن لترحلا بحق الجحيم .. »

- « إذن وقعى الأوراق .. ولسوف يكون ملكك بالكامل .. »

وانشغلت الممرضة بالردّ على الهاتف فيما رحل الرجلان .. ففك (مارك) الشرائط من حول جسده، وترجل .. وبدأ يمشى نحو باب الخروج ..

إنه يعرف المكان جيدًا على كل حال ..

شق طريقه بين المرضى، وتعمد أن يكون بطيئًا ليبدو واثقًا غير مريب .. ونزل إلى البدروم ..

★ ★ ★

تسعة عشر ..

وكانت (ريجى) عند (كلينت) فى شقته ..

كانت مختبئة من مارشالات الولايات المتحدة ، الذين سيسلمونها أمر استدعاء الصبى .. كانت بحاجة إلى وقت ترتب فيه أفكارها ، لهذا جعلت أمها تنكر وجودها ، ثم فرّت إلى شقة (كلينت) التى لا يعرفها أحد ..

دق جرس الهاتف ، وكان المتكلم هو (مارك) .. قال لها :

ـ « أنا بخير يا (ريجى) .. لكنى لن أذهب إلى (نيو أورليانز) .. لقد هربت من حجز الأحداث .. وهل تعرفين ؟ أشك فى أن أحدًا لاحظ غيابى .. إن المكان هنا عش مجانين ، وبالتأكيد لن يفتقدنى أحد .. »

ـ « أليس معك رجال شرطة ؟ »

ـ « نعم .. أنا مجرد صبى ، وكنت فى غيبوبة أمتص إصبعى مثل (ريكى) .. »

ـ « ليس هذا بإمكانك يا (مارك) .. »

ـ « لقد تم على كل حال .. ولن أتراجع .. »

ـ « أين أنت الآن ؟ »

ـ « أنا فى مشرحة المستشفى أختبئ خلف منضدة وأستعمل الهاتف .. لقد أحضروا جثتين منذ قليل .. لو جئت الآن لتأخذينى فهل سيتهمونك ؟ »

ـ « بالطبع سيتهموننى .. لكنى لا أعبأ بهذا .. لقد فعلت ما هو أسوأ .. »

ـ « حسن .. أنت تعرفين مكان انتظار السيارة فى المستشفى .. جوار ذلك المبنى الأخضر .. »

ـ « نعم .. »

ـ « ليكن .. ستذهبين هناك ، وتتظاهرين بأنك تبحثين عن موضع كى تقف فيه سيارتك .. سأختفى بين السيارات ، ثم أركب معك .. »

ـ « سأكون عندك فى الحال .. سأستقل سيارة (كلينت) وهى (هوندا أكورد) .. كن حذرًا يا بنى .. »

وضعت السماعة ، فصاح (كلينت) :

ـ « سيارتى ؟ »

ـ « إنهم يراقبوننى أنا الأخرى .. »

ـ « هذا جنون يا (ريجى) .. سيقبضون عليك ويلغون رخصتك .. »

ـ « أحتاج أيضًا إلى المفاتيح وبطاقة ائتمانك ! »

ـ « لقد جننت يا (ريجى) ! »

ـ « بل أنا مجنونة فعلاً يا (كلينت) .. لكن ماذا بوسعى أن أفعل ؟ »

ـ « ربما كان بوسعك أن تهاجمى المستشفى بمدفع رشاش .. كونى رقيقة ببطاقة الفيزا فهى أوشكت على الانتهاء .. »

ـ « لماذا لا أشعر بدهشة لهذا ؟ »

وحملت حقيبتها والمفاتيح وغادرت المكان ..

★ ★ ★

منذ اللحظة التى وثب فيها (مارك) إلى السيارة ، وتوارى تحت التابلوه ، صارت (ريجى) متورطة فى فراره .. يمكنها أن تزعم فيما بعد أن المافيا كانت تطارد الصبى ، وأنها لم تجد حلاً آخر سوى الهرب به .. كان لابد أن يفعل أحد شيئًا ما ..

كان (مارك) مكورًا تحت التابلوه، وظلّ هناك حتى خرجت من ساحة الانتظار، واتجهت إلى النهر .. عندها وثب جالسًا على المقعد ونظر إلى الساعة .. كانت تشير إلى ١٢:٥٠ ..

الشوارع مهجورة شبه مظلمة، بينما هى تسأله :

- « إلى أين نذهب؟ هذا الشارع ينتهى عند النهر، وعلينا أن نفكر بجدية فى المكان الذى ترغب الذهاب إليه .. »

- « حسن .. حاليًا أريد الخروج من (ممفيس)، ولا يهمنى شىء بعدها .. »

- « ألا ترى أنها فكرة جيدة أن تحدد مكانًا نقصده بعد ترك (ممفيس) ؟! »

كان بوسعها أن ترى صحف الغد، وعليها صورته الباسمة مع حروف كبيرة تقول :

(سواى) يهرب .. سيبدو رجال الشرطة فى موقف عسير وهم يفسرون كيف أفلت منهم صبى فى الحادية عشرة من عمره ..

قال لها :

- « أنا آسف من أجل السجانة (دورين) .. هل تظنينها ستعانى المتاعب ؟ »

- « هل كانت نوبتجية وقت هربك ؟ »

- « لا .. »

- « فى الغالب لا تثريب عليها .. »

وحكى لها بالتفصيل قصة هربه .. كانا الآن يعبران الجسر متجهين نحو (أركنساس) .. نظر (مارك) إلى الأفق ليرمق خط (ممفيس) إذ تلتحم به، ولاحظت إعجابه بالمنظر .. فقالت :

- « يمكنك أن تطلب من المباحث أن يرسلوك إلى أى مكان .. يمكنك الذهاب إلى (ديزنى لاند)

لو عشت فى (أورلاندو) .. ولسوف يعطونك تذكرة مجانية مدى الحياة .. »

قال (مارك) :

- « نعم .. لكنى خائف من ظلّى .. من يريد أن يعيش خائفًا من ظله ؟ إننى أرى كوابيس طيلة الليل ، ولسوف يظفر بى رجال المافيا هؤلاء .. أعرف أنهم سيظفرون بى .. »

- « إذن ؟ »

وضع ساقًا على ساق واسترخى قائلاً :

- « ثمة مزية مهمة للسجن هى أنك تقضين الوقت فى التفكير .. ماذا لو كان (رومى) كاذبًا ؟ ماذا لو كان يخرف ؟ الآن لست متأكدًا مما قال .. »

كانت تصغى إليه وتقود بسرعة خمسة

وخمسين كيلومترًا .. لم تكن تعرف إلام يتجه تفكيره ، كما لم تكن تعرف إلام تتجه السيارة ..

قال لها :

- « لو وجد رجال الشرطة الجثة سيسعد الجميع ما عدا المافيا .. أما لو لم يجدوها فلن يصدقنى رجال الشرطة .. يجب أن أتأكد من كلام (رومى) .. »

نظفت حلقها .. وقالت :

- « هل تعنى أن نجد الجثة بأنفسنا ؟ »

- « نعم ! »

كادت تضحك من هذه الدعابة الساذجة من عقل مُرهق .. فقال لها :

- « إن لدىّ جلسة سماع فى (نيو أورليانز) يوم الإثنين .. فكرى يا (ريجى) فى مكان لايتصورَ

رجال الشرطة أن أذهب إليه .. أين المكان الذى يستحيل أن أكون فيه ؟ »

ـ « نيو أورلياتز .. »

ـ « هو كذلك .. ولو وصلنا إلى (نيو أورلياتز) لوجدنا بيت (رومى) من دليل الهاتف .. »

ـ « ولماذا بيت (رومى) ؟ »

ـ « لأن الجسد هناك ! »

كان هذا آخر شىء فى العالم تتخيل سماعه .. نزعت عويناتها وبدأ الصداع يدق فى صدغيها .. وراحت تعيد العبارة فى ذهنها .. جثة القتيل دفنها القاتل فى منزل محاميه .. هذا يفوق الخيال ..

ابتسم (مارك) ابتسامة غريبة ، وقال :

ـ « الآن تعرفين ما أعرفه بالضبط .. وترين أن هذا غريب يدعو إلى الشك فى القصة كلها .. »

ـ « إذا ظننت أننى سأذهب إلى (نيو أورلياتز) لأنبش قبرًا فأنت مخطئ ، ولن أفعل هذا ولن أسمح لك بعمله .. »

كان هناك تقاطع فى الطريق ، وخلفهما كان خطّ (ممفيس) يتوهج فى الأفق .. نظرا إلى الوراء ، ولم يدرس أن هذه آخر مرة يريان فيها (ممفيس) ..

★ ★ ★

توقفت فى (أركنساس) لشراء وقود وطعام .. جلبت له كعكتين ومياه غازية ، وابتاعت لنفسها قهوة .. ثم انطلقا بالسيارة من جديد ..

راح يلتهم الكعكة ويلعق شفتيه ، بينما قوافل

من سيارات اللورى تمشى على اليمين .. قال لها :

ـ « أنا حزين على ماما .. لسوف يرونها وقتًا عصيبًا .. »

ـ « لن يحدث ، لكنها ستموت قلقًا عليك .. »

ـ « لا أريد أن أكون قاسيًا لكنها ستتغلب على هذا .. انظرى إلى كل ما مرّتْ به بالفعل .. إن أمى صلبة .. »

ـ « سأخبر (كلينت) كى يتصل ويطمئنها .. »

ـ « هل تخبرين (كلينت) بوجهتنا .. »

ـ « أنا نفسى لا أعرف وجهتنا .. »

فتح كاسيت السيارة لتنبعث موسيقا صاخبة (راب) ، وقال :

ـ « أنا لا أثق برجال المباحث الفيدرالية .. لن

أخاطر بشىء ، ولن أخبرهم بشىء قبل أن أتأكد من أن أسرتى بخير .. أنت محامية وتهمك سلامة موكلك .. لو أننى قبلت برنامج حماية الشهود ، وسمحت لهم بإبعادى ، ثم اتضح إن الجثة ليست هناك لخسرت كل شىء .. سأكون فى مكان غريب أحمل اسم (تومى) أو (جونى) ، وكل هذا بلا مقابل .. إن الحكمة تقضى بأن نعرف الآن .. كم تبعد (نيو أورليانز) ؟ »

ـ « نحو خمس ساعات أو أقل .. وأين الجثة فى بيت (كليفورد) ؟ »

ـ « إنها ليست معلقة على الشماعة أو فى قلب شجرة .. سنحتاج إلى بعض الجهد .. »

ـ « هذا جنون يا (مارك) .. »

ـ « أعرف هذا .. لقد كان أسبوعًا عصيبًا .. »

* * *

عشرون ..

دخل (بارى الموس) وحيدًا إلى الورشة .. لم يعد يرتدى ثياب البلطجية .. لم يعد يلبس بذلته اللامعة .. لم يعد ذيل الحصان يتدلى على ياقته .. لم يعد القرط الماسى فى آذانه ، وقد حلق ذقنه منذ ساعات ..

صعد الدرج وهو يتذكر كم كان يحب اللعب عليه فى طفولته .. الآن صار المكان خاليًا ، ومن النافذة يرى سيارات خاله (الكاديلاك) واقفة فى صف ، بينما السائق يغسلها ..

وكان (مو) ـ البلطجى الذى يحمل أربعة مسدسات دائمًا ـ واقفًا ، فحياه .. كان (مو) رجلاً لطيفًا إلى أن رأى فيلم (الأب الروحى) ، فاعتاد أن يلبس البذلات ، وصار كلامه نادرًا ..

دخل (بارى) ودقَّ على الباب .. ثم نظر إلى الكاميرا أعلى رأسه .. سمع من يقول له : ادخل .. ثم وجد نفسه فى مكتب خاله ..

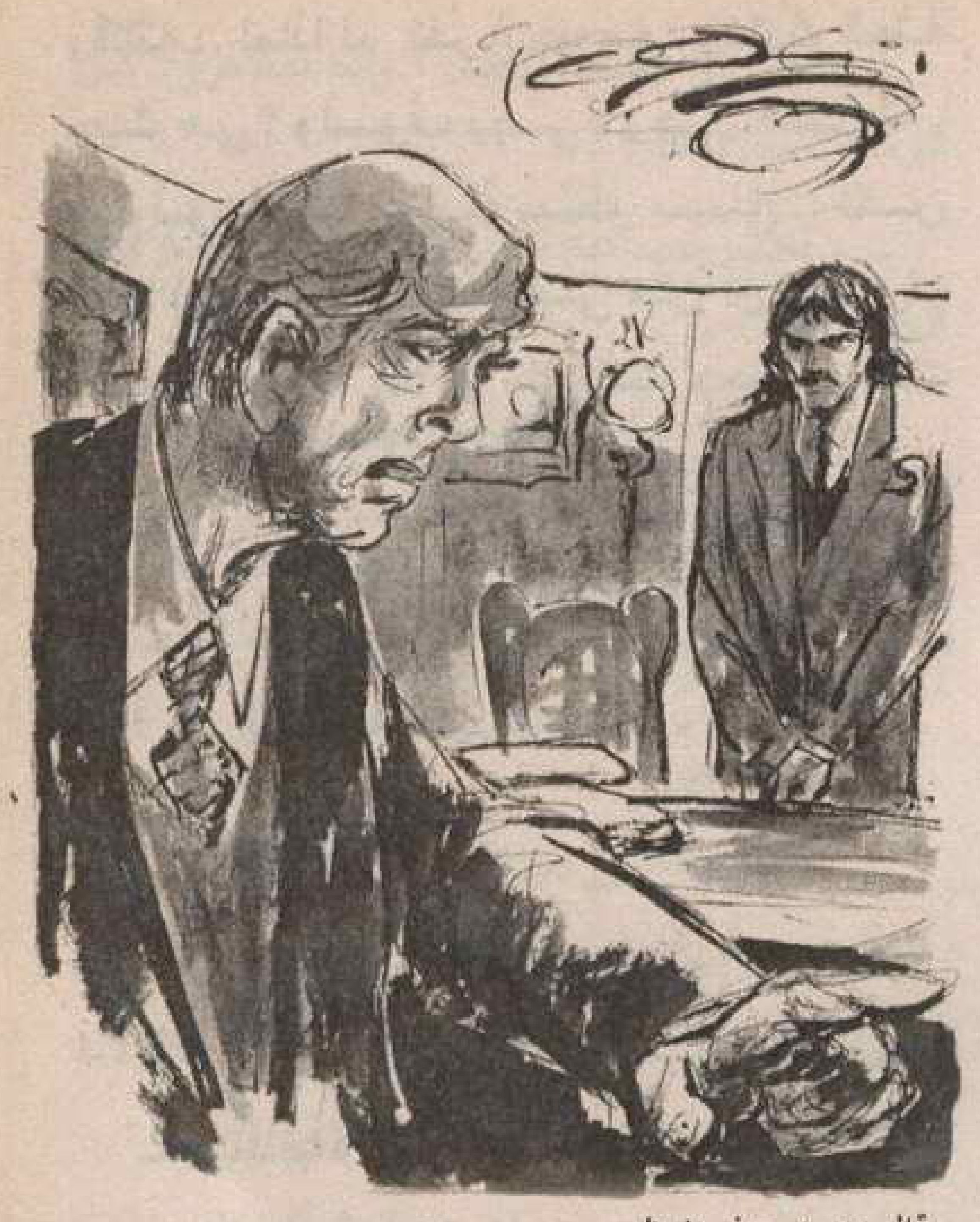
كان (جونى سولارى) رجل المافيا القوى عملاقًا فى السبعين من عمره ، خفيف الحركة له شعر رمادى لم يتراجع للوراء ، بل كان دانيًا من حاجبيه .. وكان يرتدى بذلة سوداء وربطة عنق زرقاء قبيحة ..

كان جنتلمانًا .. آخر جنتلمانات هذه المهنة الذين بدءوا يتراجعون أمام الشباب الأكثر شراسة وقذارة مثل (بارى مولدانو) ..

سأله (جونى) عالمًا الإجابة :

ـ « هل من أخبار سيئة ؟ »

ـ « يمكنك أن تقول هذا .. لقد اختفى الصبى .. »



قال (جونى) فى غيظ :
ـ «أنت غبى يا (بارى) .. غبى إذ تخفى الجثة فى (نيوأورليانز) .. غبى إذ لم تخبرنى ..

نظر الرجل إليه ببرود ، وكانت من المرات القليلة التى لم يستطع فيها (بارى) أن يلاقيه بنظراته .. خفض عينيه الأسطوريتين وصمت ..

قال (جونى) فى غيظ :

ـ « أنت غبى يا (بارى) .. غبى إذ تخفى الجثة فى (نيو أورليانز) .. غبى إذ لم تخبرنى .. غبى إذ أخبرت محاميك .. غبى .. غبى .. »

ـ « إننى بحاجة إلى عون .. »

ـ « طبعًا بحاجة إليه .. فأنت غبى جدًا ولا بد من شخص ينقذك .. أنت حمار يا (بارى) .. هل قلت لك هذا من قبل ؟ »

ـ « أعتقد هذا .. »

ـ « لقد تتبعت الرجل فى مكان منعزل

وقتلته .. لماذا لم تفرغ جيوبه ، وتترك الجثة حيث هى ؟ ولسوف يجىء رجال الشرطة ، ويقولون إنها عملية سطو مسلح .. لكن لا يا (بارى) .. أنت أغبى من أن تتصرف ببساطة .. وبعد هذا لو أنك كنت جحشًا وعدت إلى هنا بالجثة فماذا عن الخليج ؟ ماذا عن البراميل والأثقال ؟ هناك مليون طريقة للخلاص من جثة عدا الطريقة التى قررتها أنت .. قل لى : هل الجسد هنا فى المدينة ؟ »

ـ « نعم .. »

قضم (جونى) طرف سيجار ثم بصقه ، وأشعله بقداحة ، وهزّ رأسه باحتقار ، وقال :

ـ « يا للغباء ! هل من السهل الوصول إليه ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « هل هو تحت الأرض ؟ وكم تستغرق من الوقت لاسترداده ؟ »

ـ « نحو ساعة تقريبًا .. إن الجثة فى الخرسانة .. »

استرخى (جونى) قليلاً .. خرسانة ؟ ربما لم يكن الفتى غبيًا كما حسب .. لكن لا .. إن (بارى) غبى دائمًا .. أخرج الدخان فى وجه (بارى) ، وقال :

ـ « أين هو ؟ »

ـ « فى جراج وراء المنزل .. »

تفحص (جونى) طبقة الرماد عند نهاية السيجار .. حقًا ليس (بارى) غبيًا بل هو معتوه .. نفث مزيدًا من الدخان فى وجه الفتى وسأله :

ـ « هل يوجد جيران هناك ؟ أشخاص لهم آذان وعيون ؟ »

- « لم أرهم لكنى أعتقد ذلك .. »

راح (جونى) يجوب المكان ببطء وينظر خارج النافذة غير مصدق ، ثم اعتدل فى وقفته وسأل :

- « منزل من ؟ »

ابتلع (بارى) ريقه ، وقال :

- « المحامى .. (كليفورد) .. »

وتوقع انفجارًا ، لكن هذا لم يحدث .. إن (جونى) كان يحمِل فى عروقه ماء باردًا بدلاً من الدم .. فقال (بارى) بلهجة أدنى إلى البكاء :

- « (جونى) .. أنا بحاجة إلى ثلاثة رجال لنقل الجثة والتخلص منها .. أتوسل إليك .. »

- « أنا أكره المتوسلين .. ولكن كيف دفنته فى الخرسانة وسط هذه الجيرة ؟ »

- « بعد قتله جئت البيت مرتديًا زىَ عمال الحدائق ، وأفرغت ست شكائر من الأسمنت سريع الجفاف فى حفرة صنعتها فى الجراج ، وفى المساء عدت بالجثة وغطيتها بالأسمنت وبللته ، ونقلت القارب المتروك فى الجراج ليغطى القبر .. لقد كان مكانًا ممتازًا لم يشك فيه حتى الفيدراليين ، والخطأ الوحيد الذى قارفته هو أن أخبرت (كليفورد) .. »

- « (جونى) .. أرجو أن نتمّ هذا الليلة .. إن الصبى حرّ ويعرف ، ولن يمرّ وقت طويل قبل أن يتصل بشخص ما ليخبره .. »

أغمض (جونى) عينيه ونفث الدخان ، وقال :

- « حسن .. سأعطيك ثلاثة رجال .. والآن اخرج من هنا .. »

★ ★ ★

واحد وعشرون ..

دنت السيارة من منزل (كليفورد) ، فتوارى (مارك) تحت المقعد ، وراح يدرس الخارطة الكبيرة جوار فرملة اليد .. كانت الثالثة بعد الظهر ، ومن السهل أن يراهما أحد ..

أخيرًا مرّت السيارة جوار صندوق بريد عليه اسم (كليفورد) .. كان المنزل كبيرًا لكنه ليس خلابًا .. أسقف خشبية وطوب أحمر ونباتات متسلقة من حوله ، وبدا لـ (ريجى) أنه خال من لمسة المرأة .. ولم تكن هناك زهور على الإطلاق .. لم يكن جميلاً لكنه يوحى بالسلام بالتأكيد ..

قال (مارك) وهو ينظر :

ـ « وهذا هو المرآب .. »

كان منفصلاً عن المنزل ، وثمة سيارة (ترايمف) تقف على مسافة منه .. فقال لها :

ـ « كنت أحسب أننا سنجد المنزل محاطًا بشريط البوليس الأصفر .. »

ـ « ولماذا ؟ لم ترتكب جريمة هنا .. إنه مجرد منزل منتحر .. ولا مبرر لاهتمام رجال الشرطة .. »

كان منتعشًا ، فقد نام خمس ساعات فى المقعد الخلفى ، وثلاث ساعات فى الفندق ، بينما هى قد قادت السيارة طيلة الليل ، ونامت أقل من ساعتين .. كانت مرهقة مذعورة بحق ..

دارت بالسيارة دورة أخرى لتمر أمام المنزل من جديد ، ولكن بسرعة هذه المرة .. وراحا ينظران إلى الجراج من جديد ..

بعد قليل توقفا قرب غابة جميلة ، فترجلا .. وراح الصبى يركض فى انتعاش ومرح .. فهو قد نسى الطبيعة منذ أسبوع كامل ، قضاه فى المستشفى أو المحكمة أو الحجز .. وتمنى لو كان (ريكى) معه ومعهما دراجتان ..

لم يصدّق أحدهما أنهما سينبشان قبر (بويت) بعد ساعات .. لابد أن شيئًا سيحدث قبل هذا وسيعودان إلى (ممفيس) .. كانا متفقين فى سرهما على هذا ..

مشيا عبر الغابة ليدورا حول البيت .. كان هناك سور حديدى ، ومن خلفه يريان المرآب من الخلف .. جواره دلاء وأكياس سماد وعلب قمامة .. وآلة جزّ حشائش عتيقة ..

★ ★ ★

كان اثنان من الثلاثة بلطجيين قديمين لدى

أسرة (سولارى) ، وأسماهما (ليو) و (إينوتشى) ، وكانا قريبين لـ (بارى الموس) ..

أما ثالثهما فكان فتى ضخمًا غليظ العنق مفتول العضلات يسمونه (الثور) .. والسبب معروف .. وقد أرسل فى هذه المهمة ليقوم بأكثر الجهد العضلى ..

لقد قال لهما (بارى) إن المهمة سهلة .. قطعة خرسانة من هنا ومن هنا ، وسرعان ما يجدون كيس القمامة الأسود الملتف حول الجثة ..

سيمشون من ساحة الانتظار إلى ملعب التنس ، ثم إلى طريق الدراجات ، ويعبرون خندقًا ، من ثم يجدون أنفسهم أمام المرآب ..

مشى الرجال ، وكان (الثور) أكثرهم لياقة ، فراح يضحك فى سره وهو يمشى فى الظلام ..

إن الآخرين بدينان ، فى أواخر العقد الرابع ، ومدخنان مسرفان .. لهذا كانا غارقين فى العرق ، ولما يمشيا ميلاً بعد ..

(ليو) يتقدم الثلاثة والكشاف فى يده .. يتبعه (إينوتشى) الساخط .. ثم (الثور) ..

كان المكان يغدو مخيفًا فى السادسة مساءً .. أما الآن - بعد منتصف الليل - فقد صار مرعبًا ..

ومن جديد راح (الثور) يضحك متلذذًا بانعدام لياقة الرجلين .. لقد كانا إما حارسين شخصيين أو سائقين ، وهى مهن جلوسية لاتحتاج إلى مجهود بدنى ..

رقدوا بين الأعشاب يلهثون ويرمقون حديقة (كليفورد) .. كل الجيران نائمون ، وحتى الكلاب أخلدت للنعاس ..

أخرج (إينوتشى) مطرقة وهشم لوح الزجاج

فوق مقبض الباب .. ثم مدّ يده وفتح المزلاج من الداخل ..

وتسلل الثلاثة فى الظلام إلى خلفية الجراج .. كانت الأرض مغطاة بالحصى الأبيض والقارب فى مركز المكان ، يغطيه الغبار ويقف فوق أربع عجلات منها ثلاث نائمة .. قارب لم يمس الماء منذ أعوام .. ونسيج العناكب فى كل صوب ..

واضح أن (كليفورد) كان يهوى جمع الشماعات والعلب المعدنية ، وقد كدّس الآلاف منها فوق القارب ..

دفع (الثور) القارب بكثير من الجهد ، حتى أبعده خمسة أقدام عن مكانه ..

صوب (ليو) الضوء إلى الخرسانة تحت الحصى ، وقال :

- « فلنطّهر المكان .. »

راح (الثور) و (إينوتشى) يحفران بالمطرقة والإزميل .. بينما وقف (ليو) والمسدس فى يده يرمق الباب الخلفى .. صوت الطرقات عال جدًا ..

ابتعد عن المرآب فلم يسمع سوى صوت خافت .. ابتسم لنفسه .. لا خطر ..

★ ★ ★

قرب ساحة التنفس توقفت السيارة (الهوندا) السوداء .. لم تكن ثمة سيارات أخرى سوى سيارة (كاديلاك) حمراء تقف تحت جناح الليل ..

أطفأت (ريجى) المحرك ونظرت إلى الظلام عبر الزجاج .. مكان مخيف حتى من دون جثث ولا مافيا ..

مَشَتْ مع الصبى فى الظلام ممسكة بيده ..

وسألت نفسها : ما الذى تفعله هنا فى هذه المدينة .. فى هذه الساعة .. مع هذا الصبى الذى أحبته بشدة ، لكنها لاتنوى أن تموت من أجله ؟

وتمنت أن يحدث شىء يجعلهما يركضان إلى السيارة ، ثم يعودان إلى (ممفيس) .. رقدا بين الأشجار الكثيفة وراحا يرمقان الجراج القابع فى الظلام ..

كان الشارع نائمًا ساكنًا من بعيد .. وزحف (مارك) على أربع مقتربًا .. فجأة سمع صوت (تشينك ! ـ تشينك !) قادمًا من الجراج .. غريب هذا ! لوح زجاج غير موجود على باب الجراج .. (تشينك ! ـ تشينك !) ..

أحدهم هنا وهو يحفر الآن !

زحف أكثر ، وهنا تعثر فى دلو على الأرض فدوَى صوت عال ..

وثب (ليو) إلى مؤخرة الجراج، وأخرج مسدسه كاتم الصوت، وراح ينصت .. فى اللحظة ذاتها دفنت (ريجى) رأسها بين الأعشاب وراحت تصلّى ..

راح (ليو) يتفحص الظلام، ومرّت ثوان طويلة ..

ثم استدار وقد استردّ شجاعته، وعلى بعد أمتار منه كان (مارك) يكتم أنفاسه ويزحف على أربع ..

جاء صوت من الجراج يسأل :

- « ما كان هذا ؟ »

- « لا أدرى .. ربما قطة أو شىء كهذا .. »

وانغلق الباب ..

عدّ (مارك) من واحد إلى مائة، ثم هرع

ليلحق بـ (ريجى) خلف الأشجار، وراح يلهث ..

قالت له هامسة :

- « (مارك) .. هؤلاء من رجال (مولدانو) .. مافيا .. معهم مسدسات ومدًى .. إنهم الأقوى، وقد خسرنا وانتهى الأمر .. فلنعد .. »

لكنه لم يجب .. ظل يرمق المرآب المظلم .. وبدأت تفهم شعور (ريكى) الصغير حين كان يتوسل إليه كى يرحلا، بينما هما يرقبان سيارة المحامى وخرطوم الغاز ..

فجأة زحف على أربع، وبحث عن ثلاثة أحجار انتقاها بعناية من ينتقى ثمرة طماطم فى السوق..

ثم زحف نحو دار الجيران ..

★ ★ ★

اثنان وعشرون ..

كان مستر (بالانتين) يتقلب فى فراشه .. إنه فى الستين من عمره، وقد أجرى جراحة (ديسك) فى ظهره منذ عام، ومن لحظتها صار ينام بصعوبة ..

سمع صوتًا .. هل هو صوت ؟ ما من موضع آمن فى (نيو أورليانز)، وقد دفع ألفى دولار ثمنًا لجهاز إنذار ضد اللصوص .. إن الجريمة فى كل مكان ..

سمع تهشم الزجاج، فنهض سريعًا وأيقظ امرأته، ثم أخذ البندقية من الخزانة .. هرع إلى الصالة وأضاء النور، وأمرها :

- « أطلبى الشرطة .. رقم ٩١١ .. »

ثم جرى إلى المطبخ وضغط أزرار جهاز الإنذار ..

* * *

سمع (ليو) صوت تهشم الزجاج، وتلاه صوت صفارة الإنذار .. بعدها رأى رجلاً فى منامة حمراء يحمل بندقية ويجرى نحوهم ..

صاح (إينوشى) الغارق فى العرق، والذى ابتلّ قميصه كله :

- « ما هذا ؟ »

- « لا أعرف .. لكن الأوغاد المجانين يحملون بنادق .. »

ونظروا من النافذة فرأوا المستر (بالانتين) ..

كان (بالانتين) يمقت (نيو أورليانز)، ويمقت المافيا، والمتسكعين الذين يحاولون

السطو ، ويمقت الحياة فى خوف مستمر كهذا .. كان يمقت كل هذا وقد فاض به ، لذا صوب البندقية إلى أعلى وراح يطلق الرصاص .. هذا سيعلم الأوغاد أنه جادّ ..

فى الوقت ذاته وقفت زوجته فى النافذة ، وراحت تصرخ بعد كل طلقة ..

وسرعان ما وصلت أول سيارة شرطة وسرينتها تعوى ، وأضواؤها تعمى الأبصار ..

هرع الثلاثة إلى الباب ، وركضوا بين الأحراش متعجلين ، محاذرين أن يسمعهم أو يراهم أحد ..

قالت (ريجى) لـ (مارك) :

- « أنت مجنون .. »

وكانت بحق تعتقد الآن أن عميلها غير متزن

عقليًا .. واستطاعت أن ترى الثلاثة الرجال يتعدون .. كانت ترتجف وقد أوصلها صوت الرصاص إلى حافة الجنون .. الطلقة كانت هى القشة التى قصمت ظهر تحملها ..

وعلى صوت الطلقات ، صحا الجيران جميعًا ، وانفتحت النوافذ .. وامتلأ المكان بالأضواء .. وراحوا يتبادلون الأسئلة ، ودبت الحياة فى الكلاب ..

وساعد رجال الشرطة المستر (بالانتين) على إصلاح زجاج النافذة بشريط لاصق ، ثم بعد ربع ساعة ساد الهدوء ورحلت السيارات ..

ظل (مارك) و (ريجى) ينتظران ..

وبعد قليل غادرا المكان ..

★ ★ ★

أضاء الهلال فناء (رومى) والجراج .. ومشت

(ريجى) بقدم منملة مخدّرة .. إنها لم تحب ترك مكانها فى الأحراش .. الأحراش التى حمتها من المافيا والشرطة والجار المجنون .. بشكل ما اعتادت وألفت الاختباء هناك ..

قالت له :

ـ « هذا كاف جدًا .. هيا إلى السيارة .. »

ـ « لا أحسب من مصلحة أحد الرحيل الآن .. »

ـ « ولماذا ؟ »

سألته عالمة أن لديه حجة قوية .. إنها لم تربح أى جدل معه منذ ست ساعات ..

ـ « فى الغالب ينتظر هؤلاء الرجال بعيدًا حتى تستقر الأمور ، ولو رحلنا لكان من السهل أن نقابلهم .. »

توارى الهلال وصارت الأشجار أكثر قتامة ..

أحست بأنها لا تجرؤ على تركه .. من الغريب أنها تطلب الأمان فى صحبة صبى عمره أحد عشر عامًا ..

قال لها :

ـ « سأزحف إلى الجراج لألقى نظرة .. مجرد نظرة .. »

وبدءا يزحفان من جديد .. كان (مارك) يتهيب الجار المجنون ذا البندقية .. من العسير أن ينام الرجل ثانية بعد كل هذه الأحداث ، ويكفيه أن يرى ظلاً كى يفرغ رصاص بندقيته فيه ..

كانت رائحة الجراج كريهة كأن به حيوانًا ميتًا يتعفن فى الشمس .. وغريزيًا غطت (ريجى) أنفها ..

ـ « إننى أشعر بالغثيان .. »



هنا وقف (مارك) مذعوراً ، وصوّب الضوء على الوجه المتحلل للسناتور (بويت) .. تراجعت (ريجى) للوراء فاصطدمت ببعض العلب المعدنية ..

قالتها ، وهى ترمق ما فعله الرجال .. لو انتظرا عشر دقائق أخرى لوصل الرجال إلى الجثة وأخرجوها ..

التقط (مارك) الإزميل وشق به البلاستيك الأسود الذى بدأ يتكشف تحت الخرسانة .. فهمست (ريجى) :

ـ « لا تفعل ! »

هنا وقف (مارك) مذعورًا ، وصوّب الضوء على الوجه المتحلل للسناتور (بويت) .. تراجعت (ريجى) للوراء فاصطدمت ببعض العلب المعدنية ، التى تساقطت فأحدثت صخبًا مريعًا وسط الصمت .. حاولت الاتزان فأحدثت صخبًا أكثر ..

ـ « ششش ! فلنذهب ! »

قالها (مارك) وهو يدعوها إلى الابتعاد زحفًا ..

وهرعا يتواريان ما بين الأحراش حيث كانا منذ قليل ، وهمس وهو يرتجف :

- « هل رأيت وجهه ؟ »

وسرعان ما كانا يرجعان إلى سيارتهما الواقفة فى ساحة الانتظار ..

وبعد دقائق كانت السيارة تشق طريقها على الطريق السريع شبه الخالى .. إنها الثانية والنصف صباحًا ..

لم يفارق الوجه الميت ذاكرتها ، وتمنت أن تنساه لكنها لم تستطع ..

قال لها (مارك) :

- « يجب أن نتحرك سريعًا .. فهؤلاء القوم سيعودون لاسترداد الجثة .. »

وبعد صمت طويل سألها :

- « هل تثقين بالمباحث الفيدرالية ؟ »

- « أظن هذا .. وعلى العموم هم يملكون اللعبة الوحيدة فى المدينة .. »

- « وعلىّ أن ألعب معهم ؟ »

- « ليس أمامك حلّ آخر .. »

★ ★ ★

ثلاثة وعشرون ..

وفى الفندق اغتسل (مارك)، وارتدى الثياب الجديدة التى اشترتها له .. ثم جلس جوارها على الفراش، وقال :

ـ « أنا ضائع يا (ريجى) .. لا أعرف أين أذهب بعد هذا .. »

ودمعت عيناه .. لقد انهار الفتى الواثق الذى كان يتحدى المافيا منذ قليل، وعض شفته .. ارتجف وبدأ يبكى .. فاحتضنته .. لم يحاول أن يتظاهر بالقوة .. بكى دون عار .. بكى دون خجل ..

من جديد عادت هى المحامية وهو العميل .. المحامية التى تتخذ القرارات وتتحرك بثقة ..

★ ★ ★

دق جرس الهاتف جوار فراش (ترومان)، فتأمل المنبه .. إنها الرابعة صباحًا .. رفع السماعة فجاء صوت (ريجى) يقول :

ـ « هاى (لارى) .. »

كاد يقول شيئًا عن الوقت، ثم عدل عنه .. بالتأكيد هناك شىء مهم ..

ـ « أين أنت ؟ »

ـ « أنا فى (نيو أورليانز) .. علينا أن نتكلم، وكلما كان هذا أسرع كان أفضل .. لقد رأيت الجثة وشممتها .. كان هذا منذ ساعتين .. »

ـ « أين أنت الآن ؟ »

ـ « أنا أتكلم من هاتف عمومى فلاداعى للألعاب الذكية .. إن من دفنوا الجثة عادوا لاستردادها أمس .. وفى الغالب سيحاولون ثانية ..

لقد جئنا ورأينا وغزونا .. لو فعلت ما اطلبه ستحصل على الجثة اليوم .. »

ـ «أى شىء .. أى شىء تطلبين يا (ريجى) .. »

ـ « إنها صفقة .. ستقابلنى عند حانة (رين ترى) فى (ميتيرى) .. كم تستغرق من الوقت لتصل إلينا ؟ »

ـ « خمس وأربعين دقيقة .. »

ـ « كلما جئت أسرع حصلت على الجثة أسرع .. ولا أريد (فولتريج) وإلا ألغيت الصفقة بالكامل .. »

★ ★ ★

بعد خمس وأربعين دقيقة كان (ترومان) و (لويس) يدخلان الحانة فى (ميتيرى) ، وقد بدت عليهما العصبية ..

كانت (ريجى) جالسة إلى منضدة ، ترشف القهوة السوداء بادية الإرهاق ..

قال لها (لويس) :

ـ « صباح الخير يا مس (لاف) .. »

ـ « اسمى (ريجى) .. »

وأخرجت ورقة ناولتهما إياها ، وقالت :

ـ « هذه ثلاث عيادات لطب الأطفال النفسى .. ستختار الأسرة عيادة منها لعلاج الصغير (ريكى) .. »

وضع (لويس) القائمة فى جيبه ، وحاول أن يبدو مسيطرًا لكنه فشل .. بينما أضافت (ريجى) :

ـ « هناك عدة شروط لا تُناقش .. نفذاها وستحصلان على الجثة قبل أن يلقيها (مولدانو) فى المحيط .. هل جئت بطائرة خاصة يا مستر (لويس) ؟ »

ـ « نعم .. »

ـ « لكم واحد تتسع ؟ »

ـ « تتسع لعشرين راكبًا .. »

ـ « جميل .. اتصل بـ (ممفيس) الآن ، واطلب حضور آل (سواى) من المستشفى مع الطبيب وسكرتيرى (كلينت) على متنها .. »

ـ « لا بأس .. »

ـ « سنقابلهم فى المطار ، وحين يصير آل (سواى) آمنين على ظهر الطائرة ، سأخبرك بمكان الجثة .. إن الأسرة كلها ستدخل برنامج حماية الشهود .. إن المرأة ستحتاج إلى أن تربى أطفالها قليلاً ، لهذا ستحتاج إلى معاش شهرى قدره أربعة آلاف دولار لمدة ثلاث سنوات ، بالإضافة إلى مبلغ عشرين ألفًا فى المصرف .. »

بحماس قال لها (لويس) :

ـ « بالطبع .. بالطبع .. هذا سهل .. »

ـ « وإذا أرادت أن تعود للعمل ، فأنا أريد لها وظيفة حكومية مريحة .. ساعات عمل قليلة وراتب دسم .. »

ـ « سنغطى كل هذا .. »

ـ « حسن .. الآن اذهب وأجر مكالماتك الهاتفية .. ولسوف ألقاك هنا بعد نصف ساعة .. »

★ ★ ★

أربعة وعشرون ..

بعد نصف ساعة جاء (لويس) و (ترومان) ، وكان مع الأول هاتفان خلويان .. سألته وهو يضعهما على المنضدة :

ـ « كيف حصلت عليهما ؟ »

ـ « أحضرهما بعض رجالى .. »

ـ « على سبيل المرح ؛ كم رجلاً من رجالك يحيطون بك الآن ؟ »

ـ « حوالى ثلاثة عشر .. من يدرى ؟ لربما احتجنا إلى بعضهم .. »

ونظر إلى ساعته ، وقال :

ـ « لقد أقلعت الطائرة من (واشنطن) الآن ، وستصل إلى (ممفيس) فى السادسة والنصف .. »

رشفت (ريجى) قهوتها .. كانت مرهقة حمراء العينين ، لكن الأدرينالين كان يتدفق بشدة فى دمها ..

وفى السابعة إلا عشر دقائق رنّ جرس الهاتف ، فرفعه وأصغى ، ثم قال :

ـ « إنهم فى الجو الآن .. الصبى والأم والطبيب و (كلينت) .. »

نظرت له وابتسمت .. ثم قالت :

ـ « إن الجثة فى الخرسانة .. تحتاجون إلى بعض الأزاميل .. »

شرق بالقهوة التى كان يرشفها ، وقال :

ـ « حسن .. هل من شىء آخر ؟ »

ـ « نعم .. ضع اثنين من رجالك عند تقاطع (سان جوزيف) و (كارون دوليه) .. »

ـ « ليكن .. »

* * *

كان (مارك) يجلس بثياب الخروج فى الفندق ، وقد حزم حقيبته .. سمع طرقات على الباب ، ثم برز وجه (ريجى) لكنها لم تدخل ، بل طلبت منه الذهاب معها .. واستطاع أن يرى وراءها أحد عملاء المباحث الفيدرالية ..

وفى الخارج كانت السيارة واقفة وسط ثلاث سيارات أخرى تزخر بعملاء المباحث .. وانطلق الموكب نحو المطار ..

ـ « هل أخبرتهم بمكان الجثة ؟ »

ـ « لا .. ليس قبل أن تقلع طائرتك .. »

وجالسًا فى مؤخرة السيارة السوداء ، وسط كل رجال الشرطة هؤلاء ، شعر (مارك) بأهمية بالغة .. وبدأ يسترخى ..

★ ★ ★

وقف (مارك) فى الحظائر يرمق الطائرات منبهرًا ، بينما رجال المباحث يقفون فى كل مكان ..

دنا منه (ترومان) وصافحه قائلاً :

ـ « هل تذكرنى ؟ »

ـ « نعم .. قابلتك فى المستشفى .. »

ـ « هل تريد أن ترى الطائرات عن قرب ؟ »

ـ « هل هذا بوسعى ؟ »

وضع (ترومان) ـ الذى صار ودودًا فجأة ـ يده على كتف (مارك) ، واقتاده بين الطائرات الواقفة يريه إياها ، ويشرح له أنواعها ..

وقف (لويس) يتأمل (مارك) ، ثم قال لها :

ـ « إنه صبى لطيف .. »

قالت :

ـ « نعم .. أحيانًا يتصرف كالإرهابيين ، وأحيانًا يبكى كطفل صغير .. »

ـ « إنه طفل صغير فعلاً .. »

ـ « أعرف .. لكن إياك أن تخبره بهذا حتى لا تضايقه .. »

ـ « هل استقررت على مكان الرحيل ؟ إن الطيار يجب أن يرسم خطة الرحلة من الآن .. »

ـ « يريد أن يرى الجبال .. ويريد مكانًا باردًا بعيدًا عن حرّ (ممفيس) .. »

ـ « إذن لتكن (فانكوفر) .. إنها جميلة .. »

ـ « أترسلونه خارج البلاد ؟ »

ـ « لم لا ؟ لدينا شهود كثيرون خارج الولايات المتحدة على كل حال .. »

ثم ساد الصمت ، وبعده سألها :

ـ « هل كنت تعرفين ؟ »

ـ « ليس حتى أمس .. لكن (مارك) كان يعرف كل شىء من البداية .. »

ـ « هل تشعرين بخوف منهم ؟ أعنى المافيا بالطبع .. »

ـ « ولم ؟ أنا مجرد محامية .. »

ـ « لن تعرفى أبدًا طريقة تفكيرهم .. إن مدير المباحث الفيدرالية يريد أن نراقبك ونحرسك لمدة ستة أشهر بعد انتهاء محاكمة (مولدانو) .. »

ـ « لكن أرجوك دون أن أشعر بذلك .. »

ـ « إن لدينا وسائلنا .. »

وفى الجو ظهرت الطائرة المرتقبة .. راحت تدنو أكثر فأكثر ..

وأخيرًا تعانق (مارك) وأمه .. احتضنته بينما هى تفكر فى خنقه ، وقالت لـ (ريجى) :

- « هل تفهمين ما أشعر به ؟ منذ أسبوع كنت عائدة للبيت لأجد (ريكى) مريضًا ، والآن علىَّ أن أكون شخصًا آخر فى عالم آخر .. »

وبدأت محركات الطائرة تهدر من جديد ، فمشت الأسرة إلى باب الحظيرة .. وصافح (ماكتون) (مارك) فى حرارة ، فقال له الأخير :

- « شكرًا لك يا سيدى .. لقد كنتَ (وجع دماغ) ! »

ابتسم (ماكتون) ، وقال :

- « أؤكد لك يا بنى أنك كنت (وجع دماغ) أكثر لى .. »

وعند منتصف المسافة إلى الطائرة تصلب

(مارك) شاعرًا بالفزع .. إنه لم يتصوَّر قط أنه سيترك (ريجى) خلفه .. لسبب ما حسبها ستكون معه إلى الأبد .. أو على الأقل حتى يستقر فى عالمه الجديد الآمن ..

وقف بلا حراك .. كانت هناك مع (كلينت) ورجال المباحث الفيدرالية .. استدار لها فتركت الواقفين ومشت نحوه .. عض على شفته وسألها :

- « ألن تستطيعى المجىء معنا ؟ »

برغم أنهما ناقشا الموضوع من قبل مرارًا .. فهزت رأسها وادمعت عيناها ، وأمسكت بكتفيه .. وقالت :

- « لا أستطيع يا (مارك) .. » - ولثمت خده - « لسوف أفتقدك .. »

ـ « ولن أستطيع أن أراك ثانية ؟ »

ـ « نعم يا (مارك) .. لن ترانى ثانية .. »

وخطر لها أن تخطفه وتأخذه ليعيش عند أمها .. هناك يمكنه أن يأكل كل السباجيتى والآيس كريم الذى يريده ..

ثم نظرت إلى باب الطائرة وأشارت إلى أمه الواقفة هناك ..

للمرة الأولى لم يخجل (مارك) من البكاء أمام الجميع ..

★ ★ ★

خمسة وعشرون ..

بعد دقائق بينما الطائرة عند نهاية الممر ، مسحت (ريجى) الدموع عن عينيها ، وقالت :

ـ « أعتقد أننى سأعمل فى العقارات .. لم أعد تحمل المزيد من هذا .. »

قال (كلينت) :

ـ « يا له من فتى ! »

هنا جاء (ترومان) وراءها ، فأخرجت شريط الكاسيت من حقيبتها وناولته إياه ، ثم قالت :

ـ « الجثة فى جراج منزل (جيروم كليفورد) تحت قارب .. العنوان ٨٨٦ شرق (بروكليم) .. »

استدار وأخرج جهاز لاسلكى وتكلّم فيه ،

وسرعان ماوثب عملاء المباحث الفيدرالية إلـى سياراتهم وانطلقوا ..

قال لها (ترومان) وهو يبتعد ليلحق برجاله :

- « شكرًا يا (ريجى) .. »

نظرت إلى السماء .. إلى الطائرة المحلقة فى الأفق ، وقالت :

- « لاتشكرنى أنا .. اشكر (مارك) .. » .

جون جريشام

١٩٩٣

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

روايات عالمية للجيب



العميل

ساعة واحدة لا أكثر ! قبلها كان (مارك سواى) مجرد صبى يلعب فى الغابة ، وبعدها صار الفريسة المفضلة لوحشين شرسين : عصابة (المافيا) من ناحية ، ورجال المباحث الفيدرالية من ناحية أخرى .. (المافيا) تريد قتله لأنه يعرف أكثر من اللازم ، والمباحث الفيدرالية تريد اعتقاله لنفس السبب .. وأمله الوحيد والأخير هو محامية مغمورة بلا خبرة تقريبًا ...

35



العدد القادم
ماوراء العالم

الثمن فى مصر ٢٠٠ ص
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم